الدكتور
أسعد وحيد القاسم

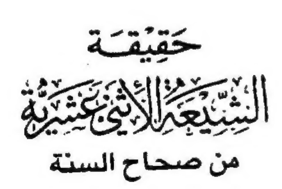
حقيقة الشيعة الاثني عشرية

مـن كتـب صحـاح السنـة



مؤسســة الغديـر
بيـروت - لبنـان




حقيقة
الشيعة الاثني عشرية
من صحاح السنة

الطبعة الخامسة

١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ

حقيقة الشيعة الإثني عشرية

من صحاح السنة

بحث حول الشيعة الإثني عشرية
من كتب صحاح أهل السنّة

الدكتور
أسعد وحيد القاسم

مؤسسة الغدير
بيروت - لبنان

المؤلف

باحث عن الحقيقة، جاهد في سبيل الوصول إليها جهاداً مريراً حتى هداه الله إلى سواء السبيل ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا﴾.

ولد في قرية دير الغصون في الضفة الغربية بفلسطين المحتلة. أنهى دراسته الثانوية ثم سافر إلىٰ الأردن فحصل على دبلوم في المهن الهندسية. ثم سافر إلى الفلبين فحصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية ثم الماجستير في إدارة الإنشاءات Construction Management .

وهو الآن حاصل على شهادة الدكتوراه في الإدارة الحكومية من خلال بحثه Islamic Puplic Administration .

إلى كلّ باحثٍ عن الحقيقة ...

أُهدي هذا الكتاب

المقدمة

تشهد الساحة الإسلامية هذه الأيام محاولات كثيرة لإثارة الفتن وإيجاد الشقاق بين الطوائف الإسلامية وتأليب بعضها على بعض ، وتشهد حملة مركّزة على الشيعة الإمامية الإثني عشرية بتناول عقائدهم الإسلامية والهجوم عليها دونما أدب أو رحمة ، وقد أغرقت الساحة الإسلامية بملايين النسخ من الكتب التي تطعن في معتقدات هذه الطائفة والتي لا يخفى على أحد أنّ أكثرها تؤلّف بإيعاز من الوهّابية وتمويل منهم متسترين بثياب الدفاع عن أهل السنّة والجماعة . وما حَمْلَتُهُم الشعواء هذه إلّا لتحقيق أهداف أسيادهم الذين يسعون إلى ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، والذين يرمون مذهب التشيّع بالكفر والشرك والمجوسية والإرتداد ، وغير ذلك من التّهم والإفتراءات .

ولم تكن كتابتنا لهذه السطور إلّا لإطلاع الملأ على حقيقة هذه الطائفة المفترى عليها والتي تنبع عقائدها وأراؤها الفقهية من صميم الكتاب العزيز والسنّة النبوية المطهرة ، وسترى ضمن صفحات هذا البحث الأدلّة والبراهين المؤيدة لذلك من القرآن الكريم وكتب صحاح الحديث عند أهل السنّة لا سيّما البخاري منها والذي آعتبروه بعد كتاب الله في مرتبة الصحّة .

وما كاتب هذه السطور إلّا واحدٌ من الكثيرين الذين آستبصروا بالحق وآتّبعوه ، بعد أن عرضت الفتنة نفسها عليه ، فأبى أن يتورّط بشباكها إلّا بعد البحث والتقصّي كما أمر الله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا

قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

وكانت البداية عندما حصلت على بعض الكتب لإحسان إلهي ظهير وموسى الموسوي وغيرهم من الكتّاب الّذين يزعمون أنّ الشيعة كفارٌ ولا يؤمنون بسنّة النبي (ص) ، وأنّ لهم قرآناً آخر ، وينسبونهم إلى أصول ليست من الإسلام في شيء . ولم أكن في البداية لألقي بالاً لكل تلك الأقاويل ، وذلك لعلمي المسبق بمصدر تلك الكتب المسمومة والتي ليس هدفها إلاّ إثارة الفتنة والشقاق ، فضلاً عن شدة المبالغة والتهويل فيها والتي لم يكن من السهولة التصديق بها ، خصوصاً أنّه لم يكن ليتطرّق إليَّ الشك قبل ذلك بأنّ الشيعة مسلمون مثل غيرهم من أهل السنّة وذلك بالرغم من علمي بوجود بعض الإختلافات التي لا تتناسب مع كل تلك الضجّة من التشكيك والتكفير .

ولكن لعدم علمي بحقيقة عقائد الشيعة على وجه التفصيل ، فإنّ قناعاتي السابقة لم تكن لتصمد أمام كل تلك الموجة الهائلة من التشكيك والتي كان يقوم بها أُناس وقعوا ضحيّة لبعض الكتب المسمومة بعد أن صدّقوا كل ما فيها من غير تمحيص ولا حتى محاولة معرفة رأي الشيعة في ذلك ، وكأنّ مؤلّفي تلك الكتب من المعصومين الذين لا يجوز التفكير في أقوالهم أو مناقشتها أو محاولة التأكد من مدى صحّتها . وللأسف فإن مِن هؤلاء الضحايا مَنْ هو حَسَنُ النيّة ولا يبغي بحملته ضد الشيعة سوى الدفاع عن عقيدة الإسلام الصحيحة ، كما يراها هو .

ولكنه التعصب الأعمى الممقوت والجهل الذي لا يُقبل عذراً بعد توفّر سبل البحث والتقصّي ، فالمؤمن كيّس فطن ، ولا يُصدّق كل ما يُسمع ويُقرأ ، وهناك وعاظ السلاطين وعلماء السوء ، الأمر الذي يلزمنا بأخذ الحيطة والحذر في أجواء ملبّدة بغيوم الفتن ومظلمة بسوادها .

وأمام كل هذه العوامل ، وجدت نفسي مدفوعاً إلى البحث والتقصي لمعرفة حقيقة هؤلاء الشيعة . وقد اطّلعت على آراء الفريقين وحججهم بموضوعية ونزاهة تامة ، ابتعدت بها عن التعصب المذهبي الأعمى الذي لا

يغني من الحق شيئاً ، خصوصاً أنّ بحث مسائل الخلاف بين السنّة والشيعة يعتبر من البحوث التي هي ضمن حدود دائرة الإسلام بأدلّةٍ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

وها أنا أُقدّم خلاصة بحثي إلى القارىء العزيز ، الذي أدعوه إلى أن يفكر في ما يقرؤه ، خصوصاً أنّ آعتمادنا جُلّهُ في هذا البحث إنما كان على أحاديث من صحاح أهل السنّة لا سيّما صحيح البخاري منها ، الذي آعتبروا كل أحاديثه صحيحة لا يتطرّق إليها الشك ولا يمكن الطعن في رواتها(*) ، حتى أصبحت مكانة صحيح البخاري عندهم تلي كتاب الله تعالى .

وفي هذا البحث ، نستعرض أهم النقاط المختلف عليها بين السنّة والشيعة مثل الإمامة وموقف الشيعة من الصحابة والقرآن الكريم والسنة النبويّة المطهرة بالإضافة إلى بعض الموضوعات التي يُشهر بها علىٰ الشيعة كالزواج المؤقت والتقية . . . بأدلّة وبراهين من كتاب الله الكريم وكتاب صحاح الحديث عند أهل السنّة وهنا نشير إلى قاعدة قد اعتمدنا عليها في بحثنا ونعتقد أنها الأسلم في الوصول إلى الحقيقة . وهي أننا حرصنا على أن يكون رائدنا في الاستدلال كل ما ينسجم مع مفاهيم الكتاب العزيز ، وما كان سليم المقدماتِ . لأننا قد نعتمد أدلة تترآىٰ لنا كونها صحيحة ولكن دون نظر على مقدماتها العقلية التي ربما كانت لا تنسجم مع مؤدىٰ الدليل .

وهو الأمر الذي أوقع العديدين في أسار التخبط في التعرف على الحقيقة . ونأى بهم بعيداً عنها .

فالذي يعتمد على مقدمة أن جميع الصحابة هم من الذين لا تعلوهم مشارط الجرح والتعديل مثلاً . يمكن أن يقبل جملة من الأباطيل كحقائق ،

---

* راجع مجلة المجتمع الكويتية الصادرة عن جمعية الإصلاح الإجتماعي العدد ٩٢٠ الصادر في ١٣ يونيو ٨٩ ، حيث تجد كيف كانت شدة الرّد على فضيلة الشيخ محمد الغزالي ـ وهو من أكبر علماء أهل السنّة المعاصرين ـ بسبب تشكيكه بصحة بعض الأحاديث المروية في صحيح البخاري . وانظر ص ١١٤ من هذا البحث فتجد إحدى الروايات ـ قصة ملك الموت مع سيدنا موسى (ع) ـ والتي شكّك فضيلته في صحتها .

نتيجة لسلوك بعض الصحابة الذي لا ينسجم مع متبنيات الكتاب العزيز والسنة الشريفة . . .

ثم لا بد في هذا المقام من توضيح أمر مهم ، هو أن دليل الشيعة في ما هم عليه هو مما تواتر من أحاديث رسول الله (ص) والمروية عن طريق أئمة أهل البيت الإثني عشر ، والموجودة في كتب الحديث عندهم مثل كتاب الكافي والإستبصار ، والتهذيب وغيرها ، ولكنّهم لا يستشهدون بها على مخالفيهم ، ذلك أنّ الحديث المروي الذي يؤخذ دليلاً وحجّة على الفريقين المتنازعين هو ذلك الحديث الذي يوجد في كتبهما كليهما - وقد آعتبراه صحيحاً - لا عند أحدهما دون الآخر . هذا بالإضافة إلى أنّ استشهاد الشيعة بأحاديث من كتب صحاح أهل السنّة لا يعني بأيّ حالٍ من الأحوال إيمانهم بصحة كل ما رُوي فيها ، وإنما لإقامة الحجة والدليل على مخالفيهم بما جاء عن طريقهم والزامهم بما ألزموا به أنفسهم ، وهذا هو عين العدل والإنصاف عند أصحاب المنطق والعدل .

وحول منهج التفكير السليم أو البحث العلمي الصحيح ، رأينا أن نعرض مقتطفات من مقالة للدكتور محمد الرميحي - رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية - تحت عنوان « هل نحتاج إلى أن نتعلم كيف نفكّر ؟ » لما فيها من فائدة رأيناها في تبصير القارىء العزيز بأسس التفكير العلمي السليم ومبادئه لعلّها تكون مساعدةً له في قراءته لهذا البحث :

هل نحتاج إلى أن نتعلّم كيف نفكر ؟

إحدى القضايا التي باتت ملحة على العقل العربي المعاصر قضية التفكير السليم ، أو التفكير العلمي - إن شئنا الدقة - وهي قضية مطروحة على أنظمتنا التربوية ، وعلى مجتمعاتنا بشكل أوسع ، وبدون إيجاد مسالك معقولة باتجاه فهم هذه القضية ، سنظل نسمع ونقرأ ونقول أموراً ما أنزل الله بها من سلطان ، تبدو جميلة في مظهرها ، ضارة كل الضرر بمجتمعنا العربي حاضره ومستقبله .

وأولى خطوات التفكير السليم هي عدم التسليم بكل ما يقال ويكتب

وأخذه على علاته ، إن لم يكن له سند عقلي ظاهر ، فالإنسان كائن حي عرضة للعثرات ، يصيب ويخطيء ، وليس بالضرورة أن كل ما يقوله نهائي وقطعي ، كما أن القول بأن الرأي القديم وحده صحيح ، لأن المتقدمين قد قالوا به ، لا يعني القطع بصوابه ، فالرأي القديم حول ظاهرة من الظواهر ، قد قاله جيل عاش في وقت لم تكن البشرية قد اكتسبت فيه من الخبرة ما لديها الآن ، وبالقياس : فالأجيال القادمة سوف تتوافر لها خبرات أكبر وأوسع مما لدينا اليوم ، لأن العلم والخبرة حصاد متراكم ، وليس بدايات تتجدد كل يوم وفق أهواء بعضنا أو قصور إدراكهم .

إن الزبد الذي يتطاير حولنا بكثافة ، يهددنا بالبقاء أسرى للتخلف ، غارقين في معارك بلا هدف ، نقاتل طواحين هواء ، ونخلق لأنفسنا مشكلات عبثية ، ونتطاحن بالإختلاف حولها دون التفكير فيها تفكيراً علمياً ، وهو سمة العصر وعنوان البقاء[1] .

حُسْن الظنّ المطْلق بالعلماء السابقين كثيراً ما يقود الباحث إلى الضّلال

والمشاهد أن مظاهر التفكير الأعوج قد كثرت بين ظهرانينا ، فأفتى من لا يملك الحد الأدنى من مقومات الإفتاء في السياسة والدين والثقافة والإقتصاد ، واحتفلنا (بمجتهدين) غاية علمهم نتفٌ شاردة من بعض كتابات السلف والخلف ، هم نَقَلة في أفضل الأحوال ، مرددين ما سمعوا ، أو قرؤوا في زمن وظروف مختلفة أشد الإختلاف عن ظروفنا وواقعنا ، وهم في كل الأحوال - اجتهاداً أو نقلاً - لا يلمون بكل ما كتب أوَ قيل في ما يتعرضون له بالإفتاء من أمور الدنيا والدين .

ولقد كان من جراء تعاظم ظاهرة الإفتاء بغير علم في أمور كثيرة أن زادت حيرة الناس في قضاياهم الأساسية ، قضايا دينهم وقضايا دنياهم .

صحيح أن العلوم الإجتماعية الحديثة تقول لنا : إنه لا توجد قراءة محايدة للنص ، فأنت حين تقرأ نصاً ما ، فإنما تقرأ بخلفيتك العلمية والسياسية

---

(١) مجلة العربي العدد ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩ .

والثقافية . . . الخ ، ولكن من الصحيح أيضاً أن هناك نصوصاً تحتمل الإختلاف الجزئي ، وأن هناك نصوصاً (تصدم) العقل لأول وهلة .

وقبل أن نخوض في فصول هذا البحث الذي سيجد فيه القارىء حقائق مثيرة وأدلّة دامغة ، من المفيد أن نعرض بعضاً قليلاً من أقوال علماء أهل السنّة التي تثبت وتقر بإسلام أهل الشيعة والتي توضح بلا أدنى شك كذب أقوال الذين يكفرونهم ويرمونهم بكثير من غير ذلك بما ليس فيهم :

فهذا الإمام الشهيد حسن البنا كان أحد أعضاء جماعة التقريب بين طائفتي السنة والشيعة . . وفيه يقول الأستاذ سالم البهنساوي : « منذ أن تكوّنت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القميّ والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة . . . »[٢] .

وهذا العلاّمة الشيخ محمد الغزالي يقول : « . . . فإنّ الفريقين يقيمان صلتهما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنّة رسوله ، ويتّفقان اتفاقاً مطلقاً على الأصول الجامعة في هذا الدين . . . »[٣] ، ويقول فضيلته أيضاً : « إنّ كل ما بقي في عصرنا هذا من خلاف هو الفجوة التي آفتُعِلت افتعالاً بين السنّة والشيعة !! وهي فجوة يعمل الإستعمار على توسيعها وعلى الأقلّ يستبقيها لتكون قطيعة دائمة بين الفريقين ثم ينفذ من خلالها إلى أغراضه . . . »[٤] .

وهذا الأستاذ أنور الجندي يقول : (والحق أنّ الخلاف بين السنة والشيعة لا يزيد على أن يكون خلافاً بين المذاهب الأربعة)[٥] .

ويقول الشيخ حسن أيّوب في سياق وصفه للشيعة الإمامية الإثني عشرية : « . . . ولعلّها أبعد الفرق الإمامية عموماً عن الإتصاف بالغلو وأقربها إلى التعقّل

---

(٢) كتاب « السنّة المُفترى عليها » ص ٥٧ .

(٣) كتاب « كيف نفهم الإسلام » ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٤) كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة » .

(٥) كتاب « الإسلام وحركة التاريخ » ص ٤٢١ .

في أمور دينها ، ومن أقرب فرق الشيعة عامّة إلى جمهور أهل السنة . . . ، دينهم التوحيد المحض بالنسبة لصفات الله ، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوقين . . . »[٦] .

وهذا شيخ الأزهر محمود شلتوت يفتي بجواز التعبد على المذهب الشيعي الإثني عشري.

ومن أراد المزيد من أقوال علماء أهل السنّة التي تشهد بسلامة عقيدة الشيعة ، فليراجع كتاب « السنة والشيعة ضجة مفتعلة » أو كتاب « آراء علماء المسلمين في الشيعة والثورة الإسلامية » لصاحبهما الدكتور عز الدين إبراهيم .

فإذا كان علماء أجلاّء مثل البنّا وكشك والمودودي وأنور الجندي والغزالي وحوّى ، وحسن أيوب ، وفتحي يكن والتلمساني وأبو زهرة وشلتوت ـ وغيرهم الكثير مما لا يتسع المجال لذكرهم ـ يرون بأنّ الشيعة مسلمون موحّدون ، فهل من المنطق والعقل أن تُتْرَكَ أقوالهم ويُلتفت إلى أقوال ظهير والخطيب والجزائري والغريب وغيرهم من الكتاب الذين يكفّرون الشيعة ، والذين لم يسمع بهم أحد إلاّ من خلال كتبهم المسمومة تلك ! ؟ فأين هم من أولئك العلماء الأعلام الذين أفتوا بحسن إسلام الشيعة ؟ وما موسى الموسوي الذي يستشهد البعض بكتاب ضعيفٍ له ويعتبرونه أساساً لحكمهم على الشيعة إلاّ أحد عناصر الفساد والسوء المرتزقة حيث جنّده أعداء الإسلام بعد نجاح الثورة الإسلامية ليقوم بتمثيلية قذرة ألبسوه فيها عمامة العلماء الشيعة ليطعن في معتقداتهم باسم التشيّع ، بعد أن مُلِئت جيوبه بما ستُصلى بها جبهته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم ، وسيعلم الّذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون .

(٦) كتاب « تبسيط العقائد الإسلامية » ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ طبعة ١٩٨٠ .

تمهيد

مَنْ هم الشيعة الإثنا عشرية ؟

نعرض في بداية هذا البحث ما هو المقصود بكلمة الشيعة ؟ وكيف نشأ وانتشر التشيع ؟

نجد في معاجم اللغة أن كلمة الشيعة تأتي بمعنى « الأتباع والأنصار ، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وبنيه حتى صار خاصاً بهم » ، وأول من وضع بذرة التشيع في حديقة الإسلام هو صاحب الرسالة محمد (ص) ، وهو أول من أطلق اسم الشيعة على أتباع أهل البيت كما يروي ذلك السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » للآية الكريمة : ﴿ **أولئك هم خير البرية** ﴾ قال : أخرج ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي (ص) فأقبل عليّ ، فقال النبي (ص) : « والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ، وفيه نزلت : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** ﴾[٧] .

إذن فرسول الله (ص) دعا إلى هذا المنهج وجعل لأهل البيت أولياء وشيعة ، وستجد الأدلة على ذلك في الفصل الأول من هذا البحث حيث تثبت وصية الرسول (ص) لأهل بيته بالإمامة على الأمة من بعده ابتداءً بالإمام

(٧) الدر المنثور للسيوطي ، الصواعق المحرقة لابن حجر .

علي بن أبي طالب وانتهاءً بالإمام المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان ليملأ الدنيا بالقسط والعدل كما ملئت بالظلم والجور .

ولما آرتحل النبي من الدار الدنيا ، رأى جمع من الصحابة أن لا تكون الخلافة لعلي ، وقد عبّر الإمام علي عن اعتراضه على ذلك بتخلفه عن مبايعة أبي بكر لمدة ستة أشهر كما روى ذلك البخاري في صحيحه والذي سيأتي تفصيله في الفصل الأول بإذن الله ، وتمنع معه عن البيعة جماعة من عيون الصحابة أمثال الزبير وعمار وسلمان وأبو ذر وغيرهم ، ثم لما رأى الإمام علي أن تخلفه يوجب كسراً في الإسلام لا يُجبر ـ وكلنا يعلم أن علياً ما كان يطلب الخلافة رغبة في الأمرة ولا حرصاً على الملك والغلبة ـ سالم وأغضى عما يراه حقاً له محافظة على الإسلام من التصدع وتفرق الكلمة . وبقي شيعته منضوين تحت لوائه ، ولم يكن للشيعة والتشيّع مجال للظهور في عهد الخلفاء الأوائل لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة ، وعندما بُويع للإمام علي ، امتنع معاوية عن البيعة له وحاربه في موقعة صفّين . وقد سبقته في ذلك أم المؤمنين عائشة (رض) بل وخرجت على رأس جيش تحارب الإمام علياً في ما عُرف بموقعة الجمل . وقد انضم لعلي في صفين معظم من تبقى من الصحابة حتى قُتل أكثرهم تحت رايته ، كعمار بن ياسر ، وخزيمة ذي الشهادتين وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم .

وبعد استتباب الأمر لمعاوية وانقضاء دور الخلفاء الراشدين ، سار معاوية سيرة الجبابرة في المسلمين وآستبد عليهم ، وتغلّب على الأمّة قهراً عليها بأخذ البيعة لابنه يزيد ، وخالف النصوص الالهية الواضحة كما في استلحاقه زياداً بأبيه ، وتوسعه بالموائد وألوان الطعام الأنيقة وبناء القصور الفخمة وغير ذلك من الترف واللهو ، وكل ذلك من أموال الأمة وفيء المسلمين ، هذا كله والناس قريبو عهد بالنبي (ص) والخلفاء الراشدين وما كانوا عليه من التجافي عن زخارف الدنيا وشهواتها . ثم آنتهى الأمر به إلى أن دسّ السم للحسن بن علي ، فقتله بعد أن نقض كل عهد وشرط عاهد الله عليه ، ثم أخذ البيعة لولده يزيد قهراً وحاله معلوم عند الأمة ـ بلا خلاف ـ ، فقد عرفه المسلمون رجل دنيا لا علاقة له بالدين . . . حتى كانت ثورة الحسين في كربلاء واستشهاده مع اثنين وسبعين

من آله وأصحابه بعد رفضه إعطاء البيعة ليزيد . وهكذا كانت سيرة بقية حكام بني أمية وبني العباس في اضطهادهم لأهل البيت .

وكان اضطهاد آل البيت طول تلك الفترات ، وما تعرضوا له من قتل وسجن وتعذيب ، بالإضافة إلى سيرة أبناء علي وآل البيت النبوي عموماً ومقارنتها مع سيرة الملوك الأمويين والعباسيين ، سبباً في انتشار التشيّع الذي هو إسلاميّ محمديّ لا غير ، وليس كما أشاع بعض السخفاء الذين كانوا يرددون ما كان ينشره ملوك بني أمية وبني العباس من أن التشيّع نزعة فارسية سبئية أو غير ذلك من الترهات التي سرعان ما ستتلاشى أمام عيني من يطالع المعتقدات ولو بقليل من التجرد .

وفي الفترة الأولى من عصر بني العباس تمكن الإمام جعفر الصادق وهو سادس أئمة أهل البيت ـ بسبب سياسته الحكيمة في التعامل مع الحكام والناس ، وبسبب انشغال رجال السلطة بتثبيت سلطتهم ـ من أن يبثّ الأحكام وينشر الأحاديث التي استقاها من عين صافية من أبيه محمد الباقر عن جدّه علي بن الحسين عن الحسين سيد الشهداء عن علي عن رسول الله (ص) ، وظهرت الشيعة في ذلك العصر بشكل لم يسبق له مثيل ، وكان ازدهار مدرسة جعفر الصادق في ذلك العصر وشهرته سبباً في إطلاق اسم المذهب الجعفري على المنهج الذي تدين به الشيعة الإمامية الإثني عشرية على مَرِّ العصور وإلى يومنا هذا ، والذي لم يكن سوى مذهب محمد (ص) وهو دين الإسلام الأصيل .

وكان من تلامذة جعفر الصادق الكثيرون من أعلام الأمة ، كالحسن البصري وأبي حنيفة النعمان الذي قال مقولته المشهورة « لولا السنتان لهلك النعمان » مشيراً إلى السنتين اللتين قضاهما تلميذاً في حلقة الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو الملقب (بالصادق) . وقد قُتل أبو حنيفة مسموماً في سجن أبي جعفر المنصور بسبب موالاته لأهل البيت ومعارضته للمنصور ، ولأنه رفض تسلّم منصب القضاء عنده ـ وراجع ما شئت من كتب التاريخ في ذلك ـ حتى أن المنصور منعه من الفتوى وهو في

السجن . وأما الذي نشر ما عُرف بالمذهب الحنفي فهو القاضي أبو يوسف الذي كان تلميذاً لأبي حنيفة وقد ولّاه هارون الرشيد القضاء الأمر الذي ساعده على نشر ذلك المذهب .

ومن المعروف تاريخياً أن المذاهب الأربعة قد تفرّعت عن الإمام جعفر الصادق ، فالإمام مالك أخذ علومه عن كتب أبي حنيفة ـ الذي تتلمذ لسنتين عند الإمام جعفر الصادق كما بينا أعلاه ـ ، ثم أخذ الشافعي عن مالك ، ثم تتلمذ أحمد بن حنبل على يد الشافعي ، فما وُجد في كتب المذاهب الأربعة موافقاً للمذهب الجعفري فهو عن جعفر بن محمد الصادق ، وما كان مخالفاً فهو اجتهاد منهم .

إن الشيعة « الإمامية » « الجعفرية » « الإثني عشرية » هي الطائفة التي ندرأ عنها الشبهة ، حيث أنه اندرج تحت اسم الشيعة طوائف كثيرة ليست من الشيعة وليست الشيعة منها ، وليست من الإسلام في شيء ، فالشيعة تتبرأ منها براءة الذئب من دم يوسف ، مثل بعض الطوائف التي تقول بألوهية علي بن أبي طالب ، مدعين أن جزءاً إلهياً حلَّ في علي واتحد بجسده ، وبعضها التي تقول بأن الأئمة انبياء ثم زعمت أنهم آلهة ، وما إن وقف الإمام الصادق على اعتقادهم الفاسد حتى تبرأ منهم ولعنهم ، وأخبر أصحابه بالبراءة منهم ، وشدّد القول في ذلك . ولا أدري لماذا نرى البعض يعد هذه الطوائف وأمثالها من الشيعة مع ما عرفت به من خروجها عن الدين الإسلامي وتبرؤ الشيعة منها .

الفصل الأول

الإمامة

ما كان القول بالإمامة بدعةً من الشيعة ، فإنّ فرق الإسلام كلها تقول بوجوب الإمامة ، بل هي من الضرورات الفطرية عند الجميع ، بَيْد أنّ الشيعة آختصّت بآراء أهمّها أنّ الإمامة مختصّةٌ بالإثني عشر إماماً من أهل بيت النبي (ص) ، وسترى الأدلّة القطعيّة على هذا من كتب صحاح الحديث عند أهل السنة .

ولو لم تكن الإمامة فرضاً لدى عامّة المسلمين لما آنقادوا للخلفاء وآتّبعوا الملوك الذين آستولوا على العروش باسم الخلافة كملوك بني أُمية وبني العبّاس وغيرهم ، وَمَنَعوا من مخالفتهم والخروج عليهم لأنّهم خلفاء وأولو الأمر ، وبذلك فإنّ الإمامة ضرورة فطرية يحكم بها العقل لحفظ الشريعة من العبث والتلاعب ، فكان من الظلم أن يُطعن في الشيعة لقولهم بالإمامة ، وأمّا بالنسبة لإعتقادهم بآختصاصها بأئمة أهل البيت الإثني عشر ، فما ذنب مَنْ هداه الدليل إلى ذلك . أو ليس الأجدر بنا أن نسأل الشيعة عما عندهم من الدليل على ذلك ؟

وسنجمل الأدلة والبراهين في سياق إجابتنا على هذا السؤال على النحو التالي :

أولاً : الأدلّة في إثبات إمامة أهل البيت .

ثانياً : الأدلة في إثبات أن عدد أئمة أهل البيت إثنا عشر .

ثالثاً : الأدلة في إثبات آستخلاف النبي (ص) لعليّ بن أبي طالب كأول الأئمة .

أولًا : الأدلة في إثبات إمامة أهل البيت : .

إنّ النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في إمامة أهل البيت على الأُمة من بعده كثيرة نورد أشهرها :

ففي صحيح مسلم بسنده عن زيد بن أرقم قال : « إنّ الرسول (ص) قام خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة . . . ثم قال : ألا أيها النّاس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وآستمسكوا به . . . وأهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي »[٨] .

وفي صحيح الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله قال : « رأيت رسول الله (ص) في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول : يا أيها النّاس إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[٩] .

تنبيه : وإنّه ليُروى أيضاً أنّ الرسول (ص) قال : « إنّي قد تركت فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وسنّتي » . وعلى تقدير صحة هذه الرواية فإنّها لا تتناقض مع الحديثين الصحيحين أعلاه ، ذلك أنّ أهل البيت هم أوثق الطرق نقلاً لسنته (ص) .

إلّا أنّ كلمة « وسنّتي » ـ مجردة ـ كما في الرواية الأخيرة لا تفيد علماً لأنّ جميع الطوائف الإسلامية تدّعي بأنّها متّبعة لسنة النبي (ص) بالرغم من وجود الاختلافات الكثيرة بين هذه الطوائف نظراً لاختلافهم في السنّة المنقولة عن النبي (ص) . فأيّ سنّة منها سنتّبع ؟

---

(٨) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب كتاب فضائل الصحابة .

(٩) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٨ ، مستدرك الصحيحين ، مسند أحمد .

فالسنّة النبوية هي واحدة أصلاً ـ بالطبع ـ ولكن طرق نقلها كثيرة ، فاختلفت السنّة بإختلاف رواية الناقلين لها ، فأصبحت السنّة النبوية سنناً متعددة ، ونتيجة لذلك أصبح المسلمون مذاهب وفرقاً متعددة ، رُوي أنّ عددها ثلاثٌ وسبعون فرقة كل منها تقول بأنّ عندها السنّة النبوية الصحيحة ، فالتمسّك بأي من هذه الفرق لا يضمن الهداية المُفترض حدوثها ـ كما جاء في الحديث ـ ، فكان التصديق بالحديث الذي يقول بالتمسك بكتاب الله وأهل البيت أقرب إلى العقل والمنطق لأنّ فيه ما يفيد علماً ، ويبعد الحيرة والتشتّت لما عُرِف من اختصاص أهل البيت بالتطهير من الرجس كما سترى ذلك في ما يلي .

وفي صحيح مسلم ، أنّ الرسول (ص) بيّن أن أهل بيته هم علي وفاطمة وأبناهما الحسن والحسين ، وأنهم الّذين نزلت بحقهم آية التطهير كما يروي مسلم بسنده عن صفية بنت شيبة قالت : « قالت عائشة : خرج رسول الله (ص) وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[١٠] .

وفي صحيح الترمذي يتبيّن بدلالة قاطعة أنّ نساء النبي (ص) لسن المقصودات في آية التطهير ـ كما يدّعي البعض ـ حيث يروي الترمذي بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي (ص) أنه قال : « نزلت هذه الآية ـ ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ ـ في بيت أُم سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً ، فجلّلهم بكساء وعلي (ع) خلف ظهره ، فجلّلهم بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء هم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، قالت أُم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك وأنت على خير »[١١] .

---

(١٠) صحيح مسلم باب فضائل أهل بيت النبي كتاب فضائل الصحابة .

(١١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٠٩ ، مستدرك الصحيحين ج ٢ ص ٤١٦ .

وفي مسند أحمد ، روى بسنده عن أُم سلمة : « إنّ رسول الله (ص) قال لفاطمة عليها السلام : آئتني بزوجك وآبنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساءً فدكياً (قال) ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم إنّ هؤلاء آل محمد فآجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد ، قالت أُم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي ، وقال : إنك على خير »(١٢) .

حديث ام سلمة برواية البخاري

وفي مستدرك الصحيحين يروي الحاكم بسنده عن حنش الكناني ، قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله (ص) يقول: «مَثَلُ أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق »(١٣) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد .

وفي مستدرك الصحيحين أيضاً ، بالسند عن ابن عبّاس : « قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ، اختلفوا فصاروا حزب إبليس »(١٤) .

ولمزيد من التوضيح ، وإضافة لما سبق من أدلة دامغة في إثبات أنّ أهل البيت هم أصحاب تلك المنزلة الرفيعة من التطهير، فقد أُختصّوا بنعتهم بكلمة «عليهم السلام» من دون جميع الصحابة ونساء النبي ، وذلك لمنزلتهم الرفيعة وما أختصّهم الله بالتطهير من الرجس والآثام صغيرها وكبيرها ، كما يظهر ذلك في أكثر من مورد في صحيح البخاري :

عَلِياً عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ : كانَتْ لِي شارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ ، وكانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطاني شارِفاً مِنَ الخُمُسِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِى بِفاطِمَةَ

(١٢) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٠٦ .

(١٣) مستدرك الصحيحين ج ٢ ص ٣٤٣ زكاة الفطر .

(١٤) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٩ كتاب البيوع .

عَلَيْها السَّلامُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[١٥] . ؟

بـابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ عَلى صَـلاةِ اللَّيْـلِ وَالنَّـوَافِـلِ مِنْ غَيْـرِ إيجابٍ : وطَرَقَ النَّبِيُّ ﷺ فاطِمَةَ وَعَلِيّاً عَلَيْهِما السَّلامُ لَيْلَةً للصَّلاةِ[١٦] .

عَنْـهُ قالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وكـانَ الحَسَنُ بنُ عليّ عَلَيهِما السَّـلامُ يُشْبِهُهُ ، قُلْتُ لأبي جُحَيْفَةَ صِفْهُ لي[١٧] .

أنَّ حُسَيْنَ بنَ عَليّ عَلَيهِمَا السَّلامُ أخْبَـرَهُ : أنَّ عَليَّ بنَ أبي طالب أخْبَرَهُ : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وفـاطِمَةَ بِنْتَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فقالَ لَهُمْ : ألا تُصَلُّونَ ؟[١٨] .

ومن المعروف أن هذا النعت (عليه السلام) لم يُعطَ في غير أهل البيت سوى الأنبياء عليهم السلام .

وعندما سُئل الرسول (ص) عن كيفية الصلاة عليه أجاب : « قولوا اللهم صـلّ على محمـد وعلى آل محمـد كمـا صلّيت على إبـراهيم وعلى آل إبراهيم . . . » .

حدَّثَنا الحَكمُ قالَ : سَمِعتُ عَبْدَ الرَّحْمن بْنِ أبي لَيْلى قالَ : لَقِيَني كعْبُ بْنُ عُجرَةَ فَقالَ : ألا أهدِي لك هَدِيَّةً ؟ إنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَينا ، فَقُلنا : يا رَسُولَ الله ، قَدْ عَلمْنا كَيفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيكَ ؟ قَالَ : قُولوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما صَلَّيْتَ عَلى آلِ إبراهيمَ ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ[١٩] .

ذلك أنّ إبراهيم (ع) كان نبيّاً ، وآله كانوا أنبياء وحفـظة للشريعـة من

---

(١٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٧١ كتاب البيوع .
(١٦) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٢٦ كتاب التهجد .
(١٧) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨٦ كتاب المناقب .
(١٨) صحيح البخاري ج ٩ ص ٤١٨ كتاب التوحيد .
(١٩) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٤٥ كتاب الدعوات .

بعده ، وهكذا كان آل محمد ولكن بفرق أنهم آستخلفوا ليكونوا أئمة وليسوا أنبياء كما بيّن ذلك الرسول (ص) عندما قال لعلي (ع) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبي بعدي »[٢٠] كما سيأتي ذلك في ما بعد .

ويُفهم من جميع ما سبق من أحاديث أنّ الله جلّ وعلا كما آختص رسوله (ص) ـ الذي يوحي إليه ـ بالعصمة والتطهير بصفته مبلّغ الرسالة وضماناً لسلامة تبليغه وإلاّ لما وثق الناس بكلامه ولما آطمأنوا إلى رسالته ، كذلك أختصّ أئمة أهل البيت بالعصمة والتطهير بدلالة الآية : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[٢١] وبصفتهم من يملأ الفراغ الذي تركه الرسول (ص) وذلك بحملهم التشريع الإلهي إلى الأجيال اللاحقة ، حفاظاً على الدين من تحريف المحرّفين وإبطال المبطلين وتشكيك المشككين ، وإنّ أسوأ ما أصاب الشرائع السابقة هو أنّ اتباعها أخذوا أحكام أنبيائهم بعد غيابهم مِن كل مَنْ هبَّ ودَبَّ ، فكان التحريف الذي تحدّث عنه القرآن الكريم : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾[٢٢] فكان الضلال وكان الضياع .

فالإمامة بذلك تُعْتَبَرُ امتداداً للنبوة في وظائفها العامة عدا ما يتّصل بالوحي فإنّه من مختصّات النبوة ، والمقصود بإمتدادية الإمامة للنبوة هو حفظ الشرع علماً وعملاً ، فوجبت عصمة الأئمة لوجوب نقل التشريع الإلهي ـ الذي جاء به رسول الله (ص) ـ للأجيال اللاحقة عن طرقٍ نقيّة وأصيلة ، تمثّلت بالأئمة الإثني عشر من أهل البيت .

وهناك من الدلائل القرآنية ما يُشير إلى أنّ الإمامة منصب من الرفعة والعلو بمكان لا يناله ظالم أو فاسق ، قال تعالى : ﴿ **قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً ،**

---

(٢٠) صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٩٢ كتاب المغازي .

(٢١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢٢) البقرة : ٧٥ .

قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾[23] فالخطيئة بصغيرها وكبيرها تجعل من مرتكبها ظالماً ، فكان لا بد أن يكون الإمام معصوماً عن ارتكاب أي خطيئة أو إثم كما تدلّ الآية السابقة .

وقفة مع آية التطهير :

ما من شك في أنّ الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ﴾ تدل على عصمة من نزلت بشأنهم ، حيث أنّ الرجس يعني في اللغة قَـذَر (والقذر ضد النظافة) ، والطهارة في اللغة تعني النّزاهة والنظافة .

والرجس للدلالة على الإثم ، والطهر للدلالة على التقوى ، فالمراد من إذهابه سبحانه وتعالى الرّجس عنهم وتبرئتهم وتنزيههم عن الأمور الموجبة للنقص فيهم ، لا يعني ذلك إلاّ العصمة والتطهير لِمَنْ نزلت الآية بحقهم ، وهم أهل البيت (ع) « محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين » كما دلّت على ذلك الأحاديث السابقة بوضوح .

ورغم ذلك ، فإن البعض يقـول بأن الآيـة لم تختص بأهـل بيت النبي (علي وفاطمة والحسن والحسين) فقط ، بل تشمل نساءه أيضاً محتجّين بوقوع آيـة التطهيـر وسط مجموعـة من الآيات (في سـورة الأحزاب) حـول نسـاء النبي (ص) .

إلاّ أنّ هذا الإستدلال مردود ، فبالإضافة إلى ما أوردناه بشأن حديث أُم سلمة في اختصاص الآية بمن عُيِّنَ بالاسم من أهل البيت ، فإنّ الآية تدل دلالة قاطعة على عصمة من نزلت في حقهم كما بيّنا سابقاً ، ونساء النبي (ص) لسن من المعصومات ولم يقل أحد بذلك ، وتهديدهنّ بالطلاق كما جاء في الآيات السابقة لآية التطهير يكفي لإثبات هذه الحقيقة ، فضلاً عن خروج عائشة على رأس جيش حارب خليفة المسلمين وإمامهم الواجب الطاعة وغير ذلك مما ستراه مفصّلاً فيما بعد .

---

(٢٣) البقرة : ١٢٤ .

وما يؤكّد أيضاً عدم دخول نساء النبي بمقصود آية التطهير هو أن ضمير المخاطب في الآيات السابقة لتلك هو ضمير الجمع المؤنّث ـ انظر الآيات : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحّكن سراحاً جميلاً ، وإن كنتنّ . . . منكنّ . . . ، يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة . . . لستنّ . . . فلا تخضعن . . . وقرن في بيوتكن ، ولا تبرّجن . . .** ﴾[24] ، وعندما بدأ الكلام بشأن التطهير ، أنقلب ضمير المخاطب إلى ضمير الجمع المذكّر ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ ، وإنّ نزول الآيات القرآنية بتهديد نساء النبي (ص) بالطلاق مع إرادة الله بتطهير أهل البيت جاء متتابعاً لا يعني بالضرورة أنّ المقصود بالمناسبتين هو نساء النبي ، ذلك أنه يوجد كثير من الآيات من هذا النوع في القرآن تتحدّث بشأن أمرين مختلفين ، ولعلّ سبب وقوعهما معاً في نفس الآية هو توافق زمن حصول المناسبتين . كما أن القرآن الكريم لم يرتب حسب تسلسل نزول آياته كما هو معلوم ، وبالتالي فليس هناك أي دليل على أن مكان آية التطهير هو قطعاً ما هو موجود في القرآن المجموع .

وأخيراً ، مما يثبت عدم نزول آية التطهير في نساء النبي (ص) ، هو حديث الثقلين الذي يأمر بالتمسّك بالكتاب وبأهل البيت (ع) . فلو أنّ المقصود بأهل البيت هو نساؤه ، فهل يوجد عند المسلمين حديث شريف ينص على إتباعهن والتمسك بهن بعد وفاة النبي (ص) إلى جانب التمسك بكتاب الله ؟

بالطبع لا ، وكيف يكون ذلك وقد أُمرن بالإلتزام ببيوتهنّ فضلاً عن أنهنّ وجدن جميعاً في عصر واحد . وإذا قيل أنّ التمسك بهن يكون بإتباع ما رَوَيْنَه من أحاديث المصطفى (ص) ، فنقول أنّه وُجد منهن مَنْ لم تَرْوِ ولو حديثاً واحداً فقط .

---

(٢٤) الأحزاب : ٣٠ .

ثانياً : الأدلة في إثبات عدد أئمة أهل البيت الإثني عشر :

أخبر الرسول (ص) أن عدد الأئمة من أهل البيت الذين يلون من بعده هو إثنا عشر :

جاء في كتاب الأحكام من صحيح البخاري :

قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : يَكُونُ إثْنَا عَشَرَ أمِيراً ، فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أسْمَعْهَا ، فَقَالَ أبي : إنَّهُ قالَ : كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ [٢٥] .

وفي صحيح مسلم : « لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش »[٢٦] ، و « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً »[٢٧] .

وفي مسند أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود ، إنه قال : سُئل رسول الله (ص) بشأن الخلفاء ، فقال : « إثنا عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل »[٢٨] .

وفي التوراة عند أهل الكتاب ما معناه : « إنّ الله تعالى بشّر إبراهيم بإسماعيل(*) وأنه ينميّه ويكثره ويجعل من ذريته إثني عشر أميراً وأمة عظيمة » والنصّ حرفياً كما جاء في العهد القديم (التوراة) من الكتاب المقدس :

« وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه وأثمِرُهُ وأكثره

---

(٢٥) صحيح البخاري ص ٢٥٠ ج ٩ كتاب الأحكام .
(٢٦) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب الناس تبَع لقريش .
(٢٧) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب الناس تبع لقريش .
(٢٨) مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٩ .

* من المعلوم أنّ سيدنا محمد (ص) وأهل بيته (ع) قد انحدر نسلهم من إسماعيل (ع) ، فالإثني عشر أميراً هم أئمة أهل البيت الإثني عشر ، والأمة العظيمة هي أمة محمد (ص) - وهذا يصلح ليكون حجة على أهل الكتاب في صدق نبوة سيدنا محمد (ص) .

كثيراً جداً . إثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة »[٢٩] .

إن الروايات أعلاه يبيّن بعضها أنّ عزة الإسلام موكولة بالإثني عشر خليفة ، ويرى بعضها الآخر أنّ حياة الدين وبقاءه إلى يوم القيامة موكولان بهم ، وانّهم كلهم من قريش ، وفي روايات أخرى : كلهم من بني هاشم .

ولا تنطبق هذه الروايات على أي مذهب سوى مذهب أهل البيت (ع) - مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - ، وذلك لتوافق هذا العدد مع عدد أئمة أهل البيت الإثني عشر ، في الوقت الذي يصل فيه علماء أهل السنّة في تفسيرهم لهذا الحديث إلى طريق مسدود ، هل المقصود هم الخلفاء الأربعة إضافة إلى خلفاء بني أُمية وبني العبّاس؟ نحن نعلم بالطبع ، أن الخلفاء الأوائل لم يكونوا إثني عشر ، ولا بإنضمام بني أُمية وبني العبّاس إليهم ينطبق عليهم هذا العدد ، ولم يختلف علماء أهل السنّة في أمر كما آختلوا في تفسيرهم لهذا الحديث .

ونورد مثالاً واحداً لترى مدى اضطرابهم في تفسير هذا الحديث هو رأي للسيوطي يذكره في تاريخه : « وقد وُجد من الإثني عشر ، الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية ، ويُحتمل أن يضمّ إليهم المهدي العبّاسي لأنه في العبّاسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين ، والطاهر العبّاسي أيضاً لما أوتيه من العدل ويبقى الإثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت »[٣٠] .

ولن نجد العدد « اثني عشر » يتحقق في أي مجموعة سوى أئمة الشيعة الإثني عشر ، والأحاديث الواردة في هذا الخصوص عن طرق الشيعة كثيرة تفوق حد التواتر حيث ذُكر فيها أسماء الأئمة الإثني عشر تفصيلاً بما لا يقبل حيرة ولا اختلافاً .

---

(٢٩) سفر التكوين (GENISIS 17: 20) .

(٣٠) تاريخ السيوطي ص ١٢ .

فما الذي يدعو إلى أن نهمل التفسير الواضح البيّنْ للحديث المنسجم في توالي أئمّة الشيعة الإثني عشر ، ونلقي بأنفسنا في متاهات لا مخرج منها ؟

ثالثاً : الأدلة في إثبات آستخلاف علي بن أبي طالب :

لقد سبق بيان الأدلّة على إمامة أهل البيت (ع) وأنّ أئمتهم الإثني عشر هم خلفاء الرسول (ص) .

وفي ما يلي نبيّن الروايات الدّالة على آستخلاف النبي (ص) لعليّ بن أبي طالب على الأمة من بعده إماماً أول (من الأئمة الإثني عشر) ، وهذه الروايات متواترة عند الفريقين إلاّ أنّ الإختلاف بينهم حصل في مدلولها . وأهمّ الأحاديث في ذلك هو ما عُرف بخطبة الغدير ، نورد منها ما مختصره :

في صحيح الترمذي بسنده عن زيد بن أرقم أنّ النبي (ص) قال : «مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه »[٣١] .

وفي صحيح ابن ماجة بسنده عن البـرّاء بن عازب قـال : (أقبلنا مـع رسول الله (ص) في حجتّه التي حجًّ ، فنزل في بعض الطريق ، فأمر الصلاة جامعة ، فأخذ بيد علي (ع) ، فقال : ألست أولى بـالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى ، قال : فهذا وليٌّ من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه ، اللهم عاد من عاداه)[٣٢] .

وفي مسنـد أحمد بن حنبل بسنده عن البرّاء بن عازب قال : (كنا مـع رسول الله (ص) في سفر ، فنزلنا بغدير خم ، فنودي فينا الصلاة جامعة ، . وكسح لرسول الله (ص) تحت شجرتين ، فصلّى الظهر وأخذ بيد علي (ع) فقال : ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أني أولىٰ بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد علي (ع) فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من

---

(٣١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣٢) صحيح ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله (ص) .

عاداه ، قال : «لقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك ، فقال له : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة »[٣٣] .

إنّ الحديث هذا اشتهر باسم حديث الغدير لوقوع مكانه عند غدير خم ، وهو من أقوى أدلّة الشيعة وأظهرها على خلافة عليّ (ع) وولايته وإمامته من بعد النبي (ص) ، وهذا الحديث يعتبر في أعلى مراتب الصحة والقوة ، لأنه متواتر عند المسلمين جميعاً سنة وشيعة .

ولقد سعى البعض ممن لم يستطيعوا بث الشكوك حول صحّة أسانيد هذا الحديث ، إلى إلقاء الشكوك في دلالته على الإمامة والخلافة ، وإعتبارهم أن كلمة «مولى» تعني «الصديق» أو «المحبّ» ، لا «ولي الأمر» ، فكلمة مولى كما في الحديث التالي - على سبيل المثال - جاءت بمعنى ولي الأمر أو الأولى بالتصرّف أو الوكيل .

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وأنا أوْلى النّاسِ بِهِ في الدُّنْيا والآخِرة ، اقْرَؤوا إنْ شِئْتُمْ : «النَّبِي أوْلى بالمؤْمِنينَ مِنْ أنْفسهم» فأيُّما مُؤْمِنٍ تَرَكَ مالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كانُوا ، فإنْ تَرَكَ دَيْناً أوْ ضَيَاعاً فَلْيأْتني وأنا مَوْلاهُ[٣٤] .

والإمعان في حديث الغدير والظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت به ، وقرائن أخرى تدل بحق على أنّ المقصود لم يكن سوى الإمامة والولاية التي تعني القيادة بكل ما فيها من معان ، ومِنْ هذه القرائن :

١ - إن آية التبليغ ﴿ يا أيها النبي بلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[٣٥] التي نزلت قبل حادثة الغدير ، تدلّ بلهجتها الحادّة وما فيها من القرائن على أنّ الكلام لم يكن بشأن الصداقة العادية ، إذ أنّ هذا لا يستوجب كل تلك الأهمية والتوكيد ، فقد جعل الله تبليغ الرسالة متوقفاً على تثبيت الخلافة من بعده لأن الخلافة

(٣٣) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٨١ .

(٣٤) صحيح البخاري ص ٢٩٠ ج ٦ كتاب التفسير .

(٣٥) المائدة : ٦٧ ، الواحدي في أسباب النزول والتفسير الكبير للرازي .

بها لا بغيرها يؤمنّ الله ورسوله (ص) لهذه الأمة دينهم عند من ورثوا علوم النبي بعد وفاته (ص) .

كما أن الآية الخاصّة بإكمال الدين ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[٣٦] ـ التي نزلت مباشرة بعد خطبة الرسول (ص) التي نصّب فيها عليّاً (ع) خليفة وإماماً للأمة ـ تدلّ دلالة قاطعة على أنّ الموضوع كان على درجة من الأهمية كموضوع القيادة والخلافة بعد رسول الله (ص) ، وأنّه كان بصدد تعيين الإمام بعده وأنّ هذا الإمام بعده إنما هو عليّ ، لا أن المقصود من الحديث : من كنت محبّه وناصره فعليٌّ محبه وناصره .

٢ ـ الطريقة التي وُصِفَ بها الحديث ، بكل ظروفه والصحراء المحرقة التي أُلقيت فيها ، تلك الخطبة المسهبة وأخذ الإقرار من الناس في ذلك الجو وذلك المكان ، كلها تدل على صحّة ما ذهبنا إليه من تنصيب علي في مقام الإمامة ولا شيء غير ذلك ، لأنه أمر مهم يجب أن يُعرف قبل أن يحل أجل الرسول الذي لم يكن هو نفسه (ص) يعرف متى يكون ، فقد يحل الأجل قبل وصوله (ص) إلى المدينة ، وعليه فالواجب أن يعلن اسم الولي بعده حالاً لأن إعلان إسم الولي له نتائج عملية على المسلمين بعده وعلى مجتمعهم ، أما أن معرفتهم أن علياً (ع) محب للمؤمنين ـ مثلاً ـ فأمر لا أثر له على حياة الناس وعدم معرفته لا يغير شيئاً من حياتهم ونُظُمهم .

وفي صحيح الترمذي بسنده عن عمران بن حصين قال : (بعث رسول الله (ص) جيشاً وآستعمل عليهم علي بن أبي طالب (ع) ، فمضى في السّرية فأصاب جارية ، فأنكروا عليه ، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله (ص) ، فقالوا : إذا لقينا رسول الله (ص) أخبرناه بما صنع علي ، فأقبل رسول الله (ص) والغضب يُعرف في وجهه وقال : ما تريدون من علي ؟ إنّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي)[٣٧] .

---

(٣٦) المائدة : ٣ ، السيوطي في الدر المنثور ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

(٣٧) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٧ .

ونزل قولـه تعالى : ﴿ **إنمـا وليكم الله ورسولـه والذين آمنـوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[٣٨] في عليّ في تفسيـر معظم المفسّرين[٣٩] عندما تصدّق بخاتمة لمسكين جاءه وهو في أثناء الصلاة راكعاً .

ومن الأحاديث الأخرى التي تشير إلى آستخلاف علي حديث المنزلة :

عَنْ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ ، عن أَبِيهِ : أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إلى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيّاً فَقالَ : أَتُخَلِّفُني في الصِّبْيانِ والنِّساءِ ؟ قالَ : ألا تَرْضَى أَنْ تَكونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى إلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدي[٤٠] .

ويدل هذا الحديث على أن جميع المناصب التي كانت لهارون في بني إسرائيل من جانب موسى (ع) ـ باستثناء النبوة ـ كان لعلي مثلها ، لأن الحديث لا يوجد به أي قيد أو شرط ، وبذلك يُفهم منه ما يلي :

١ ـ كان عليّ (ع) وزير الرسول (ص) ومعاونه الخاص ، وشريكه في قيادة الأُمـة ، إذ أنّ القـرائن أثبتت هـذه المنـاصب لهـارون . قـال تعـالى : ﴿ **. . . واجعل لي وزيراً من أهلي ، هـرون أخي ، أشدد بـه أزري ، وأشركه في أمري ، . . . قال قد أُوتيت سؤلك يا موسى** ﴾[٤١] .

٢ ـ كان علي (ع) الأفضل في الأُمة بعد رسول الله (ص) بمثلما كان هارون في بني إسرائيل .

وما يؤكد استحقاق علي لهذه المنزلة الرفيعة باستخلافه على الأُمة بعد الرسول (ص) ، أنّه كان الأعلم بين جميع الصّحابة بآعتراف أشهرهم :

عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابنِ عَبّـاسٍ قالَ : قـالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ

---

(٣٨) المائدة : ٥٥ .

(٣٩) تفسير الطبري ، أسباب النزول للواحدي ، شـواهـد التنـزيـل للحـاكم وأنسـاب الأشراف .

(٤٠) صحيح البخاري ص ٤٩٢ ج ٥ كتاب المغازي .

(٤١) طه : ٢٩ ـ ٣٦ .

عَنْهُ : أقْرَؤُنا أُبيٌّ ، وأقْضَانا عَليٌّ[٤٢] .

ذلك أن الأقضىٰ هو الأعلم بالأحكام والقوانين كما لا يخفى .

ويكفي لإثبات أعلميته أنه باب مدينة علم رسول الله وحكمته كما في صحيح الترمذي بسنده عن علي (ع) ، قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها »[٤٣] .

وفي مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس (رض) ، قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب »[٤٤] قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وفي مستدرك الصحيحين أيضاً ، قال رسول الله (ص) لعلي : « أنت تبيّن لأُمتي ما آختلفوا فيه من بعدي »[٤٥] .

ولنفترض أنّ نبي الإسلام لم يعيّن أحداً يخلفه من بعده ولنفترض أنّ إختيار الخليفة كان على عاتق الأُمة ، فهل يجوز عند الإنتخاب أن نتجاوز الأعلم والأتقى والأكثر تميّزاً عن الآخرين من جميع الوجوه كما بيّنا ، فقد كان عليٌّ الأعلم بين جميع الصّحابة وكانوا يرجعون إليه إذا ما واجهتهم معضلة دينية معقدة .

أما عن زهده وتقواه فقد عُرف بإمام الزاهدين .

وأمّا عن شجاعته وبطولاته الخارقة ، فقد كان أول فدائي في الإسلام وكان له في كل موقعه الدور الحاسم ، ففي بدر قتل بسيفه «ذي الفقار» ثلاثين صنديداً من صناديد قريش ، وفي أُحُد وحُنَين وقف ذلك الموقف التاريخي مستميتاً يدافع عن الرسول (ص) بعد فرار الغالبية العظمى من الصحابة ، وفي

---

(٤٢) صحيح البخاري ص ١٠ ج ٦ كتاب التفسير .

(٤٣) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤٤) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ .

(٤٥) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢ .

الخندق حيث خرج لمبارزة عملاق المشركين عمرو بن عبد ود العامري في الوقت الذي لم يجرؤ فيه أي من باقي الصّحابة على الخروج إليه ، وفي خيبر إذ فتح الله على يديه باب الحصن ، بعد أن استعصى عليهم وقد عجز عن فتحه جمع كبير من الصّحابة معاً .

وتميّز أيضاً عن باقي الصّحابة بأنه لم تدنّسه الجاهلية بأنجاسها ، وتلقى تربيته الفريدة على يدي معلم البشرية الأول محمد (ص) إذ لم يفارقه لحظة طوال حياته حتى فارق الدنيا وهو بين يديه ، فكان طوال حياته يتلقى العلم والحكمة من رسول الله (ص) فأستحق بجدارة أن يكون باب مدينة علم رسول الله وحكمته وأخاه .

ففي صحيح الترمذي بسنده عن ابن عمر قال : « آخى رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء عليٌّ (ع) تدمع عيناه ، فقال يا رسول الله ، آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد ، فقال رسول الله (ص) : أنت أخي في الدنيا والآخرة »(٤٦) .

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ لعليٍّ : أَنْتَ مِنِّي وأَنَا مِنْكَ(٤٧) .

وتميّز عن باقي الصحابة أيضاً بأنه كان الأكثر فضائل ، فقد جاء في مستدرك الصحيحين عن أحمد بن حنبل أنه قال : « ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله (ص) من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب (ع) »(٤٨) .

وفي كنز العمال ، قال رسول الله (ص) : « إنّ الله أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ »(٤٩) وكان ذلك بعد أن رفض تزويجها لعدد من الصحابة تقدموا لطلبها في محاولة لنيل هذا الشرف العظيم بالزواج من بضعة الرسول (ص) وسيدة

---

(٤٦) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ .
(٤٧) صحيح البخاري ص ٤٣ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .
(٤٨) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٠٧ .
(٤٩) كنز العمال ، ذخائر العقبي .

نساء المؤمنين وأهل الجنة والتي يغضب الله لغضبها ، وقد صدق من قال : « لو لم يُخلق علي ما كان لفاطمة كفوء »[٥٠] .

وبعد كل ذلك ، فإنّه إذا فرضنا أنّ انتخاب الخليفة موكول إلى النّاس أنفسهم ، فإنّ عليّاً كان اليق الموجودين وأجدرهم بالخلافة .

مخالفة جمهور المسلمين لنصوص الإمامة :

بعد وضوح الأدلة والبراهين السابقة على تعيين النبي (ص) بأمر من الله تعالىٰ لعلي بن أبي طالب (ع) إماماً للمسلمين من بعده ابتداءً ، ولأئمة أهل بيته الإثني عشر على وجه العموم ، من الممكن أن يسأل بعض الناس فيقول : لو كانت النصوص تلك في إمامة أهل البيت حقّاً ، فلماذا وكيف آلت الخلافة إلى غيرهم ؟

وللإجابة على هذا السؤال ، نورد بعضاً من الحوادث التاريخية المهمة التي كان لها الأثر الكبير في تغيّر مسار التاريخ الإسلامي ابتداءاً باجتهاد الخلفاء الأوائل في الخلافة وغيرها مقابل نصوص النبي (ص) الثابتة ، وانتهاءً بآستيلاء بني أميّة عليها بالقوة وغلبة السيف لما فيها من نعيم دنيوي ومجد طالما حلموا به . ومن هذه الحوادث :

١ ـ منع بعض الصّحابة رسول الله (ص) من كتابته للوصية .
٢ ـ تخلّف بعض الصّحابة عن بعثة أسامة وطعنهم في إمارته .
٣ ـ أحداث السقيفة وبيعة أبي بكر .
٤ ـ استخلاف عمر وبيعته .
٥ ـ الشورى وبيعة عثمان .
٦ ـ موقعة الجمل وخروج أم المؤمنين
٧ ـ موقعة صفين وتمرد معاوية .
٨ ـ استشهاد الإمام علي (ع) .

---

(٥٠) كنوز الحقائق للمناوي ، وأخرجه الديلمي .

٩ ـ استشهاد الإمام الحسن (ع) .
١٠ ـ ثورة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (ع) .

وسنتناول في ما يلي كلًّا من هذه الحوادث بشيء من التفصيل :

أولًا : منع بعض الصّحابة رسول الله (ص) من كتابته للوصية :

عندما أراد الرسول (ص) أن يكتب الوصية في حضرة كبار الصحابة وهو في آخر أيامه وقد اشتدّ عليه المرض ، رماه بعضهم بكلمة أحدثت ضجيجاً كبيراً ، وقد غضب الرسول (ص) على أثرها ، فطردهم من مجلسه وعدل عن كتابة الوصية ، وقد حصلت هذه الحادثة في يوم الخميس قبل وفاته ببضعة أيام ، وقد عُرفت هذه الحادثة « برزية يوم الخميس » ، كما يظهر ذلك من خلال الروايات التالية :

سعِيدِ بنِ جُبَيرٍ قالَ : قالَ ابنُ عَبَّاسٍ : يَوْمُ الخَمِيسِ ، وَمـا يَوْمُ الخَمِيسِ ، اشْتَدَّ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ فَقالَ : ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبداً ، فَتَنازَعُوا وَلا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيّ تَنازُعٌ ، فَقالُوا : ما شَأْنُـهُ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ فَقالَ : دَعُونِي فالّذي أنا فِيهِ خَيرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيهِ[٥١] .

عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عَنِ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ : لَمَا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وفي البَيْتِ رِجالٌ فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلُمُّوا أَكْتُبُ لَكمْ كِتاباً لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، فَقالَ بَعْضُهُمْ : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ القُرآنُ ، حَسْبُنا كِتابُ اللَّهِ . فاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا ، فمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرّبوا يكْتُبُ لَكمْ كِتاباً لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، ومِنْهُمْ مَنْ يَقولُ غيرَ ذَلكَ ، فَلَمّا أَكْثَرُوا اللّغْوَ وَالإِخْتِلافَ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُومُوا . قالَ عُبَيدُ اللَّهِ : فَكانَ يَقُولُ ابنُ عَبّاسٍ : إنَّ الرَّزِيّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ ما حالَ بَينَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

(٥١) صحيح البخاري ص ٥٠١ ج ٥ كتاب المغازي

وَبينَ أنْ يكْتُبَ لهُمْ ذَلكَ الكِتابَ لإخْتِلافِهمْ وَلَغَطِهمْ[٥٢] .

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ : لمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وفي البَيْتِ رِجالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ، قالَ النَّبيُّ ﷺ : هَلُمَّ أكْتُبْ لَكُمْ كِتاباً لا تَضِلّوا بَعْدَهُ . فَقالَ عُمَرُ : إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ القُرآنُ ، حَسْبُنا كِتابُ اللَّهِ . فاخْتَلَفَ أهلُ البَيْتِ فاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكمُ النَّبِيُّ ﷺ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ما قالَ عُمَرُ . فَلَمَّا أكْثَرُوا اللَّغْوَ والإخْتِلافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُومُوا . قالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : وكانَ ابنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ ما حالَ بَينَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَينَ أنْ يَكْتُبَ لَهَمْ ذَلكَ الكِتابَ مِنِ اخْتِلافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ[٥٣] .

وفي صحيح مسلم ، كان ردّهم : « ... فقالوا : إنّ رسول الله يهجر »[٥٤] وهذه العبارة الأخيرة التي ترمي النبي (ص) بنعت يمس عصمته وكرامته ، ويستشف منها بوضوح أن قائليها يريدون أن يمنعوا المسلمين عن الوصول إلى كتاب من النبي (ص) يحدد اسم خليفته بصراحة تمنع أصحاب الأهواء عن التحرك وعن تحويل مسار خلافة النبي إلى حيث يريدون . حاول أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه « السقيفة » أن يحجبها ، فقال : « فقال عمر كلمة معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال : عندنا القرآن حسبنا كتاب الله »[٥٥] ، وواضح أن كلمة « يهجر » لا تعني « يتوجع » التي أراد هذا المتأخر أن يستبدلها ليكتم قبح الكلمة الأولى بحق النبي (ص) .

وكل من يتمعّن في هذه الروايات ، يتيقّن أنّ أول من قال يومئذ « هجر

---

(٥٢) صحيح البخاري ص ٥١٢ ج ٥ كتاب المغازي .
(٥٣) صحيح البخاري ص ٣٨٩ ج ٧ كتاب المرضى .
(٥٤) صحيح مسلم : كتاب الوصية باب ترك الوصية .
(٥٥) السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري .

رسول الله » إنما هو عمر بن الخطاب ، ثم نسج على منواله من الحاضرين مَنْ كانوا على رأيه فكان من ذلك غضب رسول الله (ص) وطرده إياهم بقوله « قوموا عني » .

وإذا تأمّلت في قول الرسول (ص) : « آئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده » وقوله في حديث الثقلين : « إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[56] تعلم أنّ المقصود في الحديثين واحد ، حيث أراد الرسول (ص) في مرضه أن يكتب لهم تفصيل ما أوجبه عليهم في حديث الثقلين . ولكنه عدل عن الكتابة بعد كلمتهم تلك التي فاجأوه بها ، والتي آضطرته إلى العدول ـ لئلا يفتح البعض باباً إلى الطعن في النبوة ـ إذ لم يبق أثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده في أنه هل هجر في ما كتبه ـ والعياذ بالله ـ أم لم يهجر ، كما آختلفوا في ذلك في حضرته كما يظهر في الأحاديث السابقة ، حيث أنّهم قد اكتفوا بما عندهم من القرآن وقد جوّزوا لأنفسهم العدول عن كلام النبي (ص) وهو في حال المرض ، وكأنهم قد نسوا ما قاله جلّ وعلا في حق نبيه الكريم : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يُوحى ، علّمه شديد القوى** ﴾[57] ، و﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فآنتهوا** ﴾[58] ، و﴿ **إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون** ﴾[59] .

وقد وصف ابن عباس ذلك الموقف خير وصف عندما قال : « إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم » .

كل ذلك حصل في حضرة الرسول (ص) ، فما بالك بالذي سيحصل في غيابه وبعد وفاته ؟؟

---

(٥٦) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٠٦ .

(٥٧) النجم : ٢٠ .

(٥٨) الحشر : ٧ .

(٥٩) التكوير : ١٩ .

ثـانياً : تخلف بعض الصّحـابة عن بعثـة أُسامـة وطعنهم في إمارته :

من المعروف عند جميع المسلمين أنّ الرسول (ص) عقد لأُسـامة بن زيد سرية إلى غزو الروم وهو ابن سبعة عشرعاماً ، وهي آخر السرايا على عهد الرسول (ص) ، ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وأمثالهم ، إلاّ وقد عبّأه بالجيش(٦٠) ـ وقد أجمع على هذه الحقيقة أهل السّير والأخبار وهي من المسلمات ـ ، وأمر أُسامة بالمسير ، إلاّ أنّهم تثـاقلوا في ذلـك وقـد طعن بعضهم في تـأميـره عليهم ، حتى غضب الرسول (ص) من طعنهم غضباً شديداً فخرج معصّب الرأس ، وكان ذلك أثناء مرضه وقبيل وفاته بيومين وصعد المنبر وقال كما يروي البخاري بسنده عن ابن عمر :

ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ : أَمَّرَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسامةَ عَلى قَوْمٍ فَطَعَنُوا في إمارَتِهِ فَقالَ : إنْ تَطْعَنوا في إمارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُم في إمارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وايْمُ اللَّهِ لَقَدْ كانَ خَلِيقاً للإمارَةِ ، وَإِنْ كانَ مِنْ أَحَبَّ النَّاسِ إليَّ ، وإنَّ هَذا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إليَّ بَعْدَهُ(٦١) .

ثم حضّهم على المسير بها والتعجيل في ذلك ، إلاّ أنهم تبـاطأوا مـرة أخرى ، وتوفي الرسول (ص) قبل أن يبدأوا بالمسير .

ويستفاد من هذه الحادثة ما يلي :

١ ـ اجتهاد بعض الصحابة في موضع نصّ النبي (ص) ، حيث أنّهم اعترضوا على تأمير أُسامة عليهم لصغر سنّه بالرغم من أنّ الرسول (ص) قد عقد لواءه بيده ، وإذا فهمنا هذه ، فإنّه لن يصعب علينا فهم الكيفية والسبب في

---

(٦٠) رجال حول الرسول لخالد محمد خالد ص ٥٤٨ ط ٨ ، تاريخ الطبري ، ابن الأثير وطبقات ابن سعد وغيرهم .

(٦١) صحيح البخاري ص ٣٨٧ ج ٥ كتاب المغازي .

اجتهادهم في مقابل نص الرسول (ص) بمسائل أكبر كـاستخلاف علي وإمامته .

٢ ـ إن تأمير الرسول (ص) أسامة عليهم وهو ابن سبع عشرة سنة فقط ، إنما فعله (ص) ليكون درساً عمليّاً لهم في تقبّل إمارة من هو أصغر منهم عمراً ، ولذا أظهر (ص) الغضب عندما طعنوا في إمارة أسامة .

٣ ـ عندما عقد الرسول (ص) اللواء لأسامة ، كان يعلم بأن موعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى قد دنا ، ولا شكّ أنه كان يفكر بما سيحصل بعده من تنازع على الخلافة ، فكانت حكمته بالغة في وضع كبار المهاجرين والأنصار في تلك السرية والتي أمرها بالمسير قبل وفاته بأيام حتى لا يكون هناك أي مجالٍ للتنازع على الإمارة فضلاً عن الإجتهاد فيها . وقد كان عليٌّ ملازماً للرسول (ص) طوال تلك الأثناء ولم يكن ليفارقه لحظة أثناء مرضه ، وبعد وفاته اشتغل بغسله وقد ذهب المهاجرون والأنصار يتنازعون على الإمارة في سقيفة بني ساعدة بعد أن تثاقلوا عن المسير في بعثة أسامة التي كانوا جنوداً فيها ، وكان ذلك اجتهاداً منهم لقلقهم على ما سيحدث بعد وفاة رسول الله (ص) في حال غيابهم .

ثالثاً : أحداث السقيفة وبيعة أبي بكر :

في الوقت الذي كان فيه علي (ع) ومن معه منشغلين بتجهيز النبي (ص) ، كان عمر بن الخطّاب يعلن إنكاره لوفاة رسول الله (ص) ويهدد كل من يقول ذلك بالقتل ، ولم يكن يصدق بوفاته (ص) حتى رجع أبو بكر من مكان خارج المدينة يدعى « السنح » .

أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ماتَ وأبُو بكْرٍ بالسُّنْحِ ، قالَ إسمَاعِيلُ : تَعْني بالعالِميَةِ ، فَقامَ عُمَرُ يقُولُ : واللَّهِ ما ماتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قالَتْ : وقالَ عُمَرُ : واللَّهِ ما كانَ يَقعُ في نَفْسِي إلاَّ ذَاكَ وليَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أيْدِي رِجالٍ وأرْجُلَهُمْ ، فجاءَ أبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقبَّلَهُ فقالَ : بِأبِي أنْتَ وأمِّي ، طِبْتَ حَياً ومَيِّتاً ، واللَّهِ الذِي نَفْسِي بِيدِهِ لا يُذِيقُكَ اللَّهُ

المَوْتَتَينِ أبَداً ، ثُمَّ خَرَجَ فَقالَ : أيُّها الحالِفُ عَلى رِسْلكَ(٦٢) .

أما الأنصار فقد آجتمعوا في سقيفتهم « سقيفة بني ساعدة » ورشّحوا سعد بن عبادة ليكون خليفة رسول الله (ص) ، وعندما علم كبار المهاجرين (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة) بذلك ، ذهبوا إليهم على الفور وأعلنوا أنهم أحق بالأمر ، ودار حوار بين المهاجرين والأنصار اشتد فيه الجدل والنزاع . فقد وقف زعيم الأنصار سعد بن عبادة قائلاً :

ثُمَّ قالَ : أمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أنْصارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإسْلامِ ، وأنْتُمْ مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ رَهْطٌ ، وقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ ، فَإذا هُمْ يُرِيدونَ أنْ يَخْتَزِلُونا مِنْ أصْلنا ، وأنْ يَحضُنُونا مِنَ الأمْرِ(٦٣) .

فقام أبو بكر وألقى خطاباً ذكر فيه فضل المهاجرين وآحتجّ بقرشيّتهم في أحقيتهم بالخلافة :

فَـذَهَبَ إلَيهِمْ أبُو بكْرٍ الصّدّيقْ وعُمَـرُ بنُ الخَطّابِ وأبُـو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ . فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فأسْكَتَهُ أبُو بكْر(٦٤) فَقالَ أبُو بكْرٍ : لا ، ولكِنَّا الأمَراءُ ، وأنْتُمُ الوُزَرَاءُ ، هُمْ أوْسَطُ العَرَبِ دَاراً ، وأعْرَبُهمْ أحْساباً(٦٥) ، وقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ(٦٦) ، فَبايِعُوا عُمَرَ بنَ الخَطّابِ أوْ أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ(٦٧) .

فرد عليه أحد وجهاء الأنصار وهو الحباب بن المنذر :

فَقـالَ حَبابُ بنُ المُنْـذِرِ : لا واللَّهِ لا نَفْعَـلُ ، منَّـا أميـرٌ ، ومِنْكُمْ أمِيرٌ(٦٨) .

---

(٦٢) صحيح البخاري ص ١٣ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .
(٦٣) صحيح البخاري ص ٥٤١ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .
(٦٤) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .
(٦٥) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .
(٦٦) صحيح البخاري ص ٥٤٢ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .
(٦٧) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .
(٦٨) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

وكان ردّ الأنصار برواية أخرى :

فَقالَ قائِلُ الأنْصارِ : أنَا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُها المُرَجَّبُ ، مِنَّا أميرٌ وَمِنْكُمْ أميرٌ ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَكَثُرَ اللَّغَطُ ، وَارْتَفَعَتِ الأصْواتُ ، حَتَّى فَرَقْتُ مِنَ الاخْتِلافِ(٦٩) .

وبعد تأزم الموقف إلى هذا الحد ، جاء دور عمر بن الخطاب ، فقال : هيهات أن يجتمع اثنان في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيّها من غيركم ولنا الحجّة بذلك على من أبى .

فردّ عليه الحبّاب بن المنذر قائلاً : يا معشر الأنصار أملوا عليكم أمركم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فأنتم أحق بهذا الأمر منهم .

ولكن الأنصار في هذه الأثناء آنقسموا على أنفسهم ، فذهب أسيد بن حضير زعيم الأوس ـ الذي كان معارضاً لسعد بن عبادة زعيم الخزرج ـ وأعلن للمهاجرين تأييده لهم ووعد باعطائهم البيعة .

فقام عمر وقال لأبي بكر : أبسط يدك أُبايعك ، فبايعه عمر وقسمٌ من المهاجرين والأنصار ، وكما يروي البخاري بسنده عن عائشة فإن عمر أخذ البيعة لأبي بكر بتهديده وتخويفه لهم :

قالَتْ عائِشَةُ : فَمَا كانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِما مِنْ خُطْبَةٍ إلاَّ نَفَعَ اللَّهُ بها ، لَقَد خَوَّفَ عُمَرُ النّاسَ وأنَّ فِيهِمْ لِنفاقاً فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بذلكَ(٧٠) .

وقد قال عمر في زعيم الأنصار سعد بن عبادة الذي رفض المبايعة :

ونزونا على سعد بن عبادة فَقالَ قائِلٌ مِنْهُمْ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبادَةَ فَقالَ عُمَرُ : قَتَلَهُ اللَّهُ(٧١) .

إلى هذا الحد نسدل الستار على مسرح أحداث السقيفة التي آنتهت

---

(٦٩) صحيح البخاري ص ٥٤٢ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(٧٠) صحيح البخاري ص ١٥ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٧١) صحيح البخاري ص ٥٤٢ ج ٨ ، ص ١٤ ج ٥ .

بعقد البيعة لأبي بكر بعد صراع مشهود بين المهاجرين والأنصار على الخلافة ، وقد آعترف عمر بن الخطاب بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة ولكن ـ على رأيه ـ وقى الله شرّها :

فَلا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أنْ يَقُولَ إنَّمَا كانَتْ بَيْعَةُ أبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ ، ألا وَإنَّهَا قَدْ كانَتْ كَذلكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّها[٧٢] .

والكل يعلم أنّ الإمام علياً (ع) وسائر أوليائه من بني هاشم وغيرهم من الصّحابة ـ أمثال الزبير وطلحة وعمار وسلمان والمقداد وأبي ذر وخزيمة ذي الشهادتين وخالد بن سعيد وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم ـ لم يشهدوا تلك البيعة ولم يدخلوا السقيفة يومئذٍ لأنهم كانوا منصرفين بكلّهم إلى الخطب الفادح بوفاة الرسول (ص) وقيامهم بالواجب من تجهيزه وتشييع جثمانه الطاهر إلى مثواه الأخير ، وقد أبرم أهل السقيفة البيعة لأبي بكر ، فلم يكن بمقدور علي ومن معه أكثر من أن يخالفوا ويمتنعوا عن المبايعة ، كما يظهر ذلك من رواية عمر :

وَإنَّهُ قَدْ كانَ مِنْ خَبَرِنا حينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ إلاَّ أنَّ الأنْصَارَ خَالَفُونا وَاجْتَمَعُوا بِأسْرِهِمْ في سَقِيفَةِ بَنِي ساعِدَةَ ، وَخالَفَ مَنَّا عَلِيّ وَالزُّبَيرُ وَمَنْ مَعَهُما[٧٣] .

ولم يَرَ الإمام علي (ع) للإحتجاج عليهم أثراً إلّا الفتنة التي كان يفضّل أن يضيع حقّه على حصولها في تلك الظروف بسبب الفتن الطاغية التي أحاطت بالإسلام من كل جانب ، فخطر يتهدّده بالمنافقين من أهل المدينة وبمن حولهم من الأعراب مردوا على النفاق ـ كما تنص الآية القرآنية ـ وقد قويت شوكتهم بفقده (ص) بالإضافة إلى خطر مسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد الأفّاك وسجاح الدّجالة ، والرومان والأكاسرة والقياصرة وغيرهم من الذين كانوا للمسلمين بالمرصاد وغير ذلك من الأخطار التي كانت تهدد الإسلام ووجوده ، فكان من

(٧٢) صحيح البخاري ص ٥٤٠ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(٧٣) صحيح البخاري ص ٥٤٠ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

الطبيعي أنّ يضحّي الإمام علي (ع) بحقّه ولكن دون أن يمحوا حجيّته في الخلافة ، فأراد الإحتفاظ بحقّه في الخلافة والإحتجاج على من آجتهد فيه بالشكل الذي لا يوقع الفتنة التي سينتهزها أعداء الإسلام ، فقعد في بيته وتخلّف عن المبايعة هو ومن معه مدة ستّة شهور . ولما رأى الإمام أن يبايع درءاً للفتنة أرسل[74] . إلى أبي بكر : أن ائتنا ولاياتنا أحدٌ معك كراهية ليحضر عمر .

ولو أسرع إليهم في المبايعة حين عقدها ، لما تمّت له حجة ولا سطع لشيعته برهان ، لكنه جمع في ما فعل بين حفظ الدين ، والاحتفاظ بحقه في خلافة المسلمين ، فالظروف يومئذ لا تسمح لمقاومة بسيف ولا مقارعة بحجّة ، وتظهر هذه الحقيقة جليّاً عندما سعى أبو سفيان إلى عليٍّ (ع) أكثر من مرّة يحضّه على الاستمساك بحقّه في الخلافة قائلاً : « إن شئت لأملأنها عليهم خيلاً ورجالاً ، ولأسدّنها عليهم من أقطارها »[75] . ولكن الإمام علياً (ع) كان يرفض هذا النوع من المساعدة في كل مرّة لأنّه كان يعلم أنّ ما يقصده أبو سفيان هو إذكاء نار الفتنة وإشعال حرب لا تقوم بعدها للإسلام قائمة .

غضب فاطمة (ع) :

لقد توفيت فاطمة (ع) غاضبة على أبي بكر بسبب حرمانه إيّاها ميراثها من النبي (ص) :

أنَّ فاطِمَةَ عَلَيها السَّلامُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سألَتْ أبا بَكْرٍ الصِّدّيقَ بَعْدَ وفاةِ رَسُولِ اللَّهُ ﷺ أنْ يَقْسِمَ لهَا مِيْرَاثَها ، ما تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ممَّا أفاءَ اللَّهُ عَلَيْه . فقالَ لهَا أبُو بَكْرٍ : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : لا نُورثُ ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ ، فَغَضِبَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أبا بَكْرٍ فَلَمْ تَزَلْ مُهاجِرَتَهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ ، وعاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أشْهُرٍ . قالَتْ : وكانَتْ فاطِمَةُ تَسْأَلُ أبا بَكْرٍ نَصِيبَها ممَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ منْ خَيْبَرَ وفَدَكٍ

---

(74) صحيح البخاري ص ٣٨٢ ج ٥ كتاب المغازي .

(75) خلفاء الرسول ص ٤١٨ ط الثامنة .

وَصَدَقَتِهِ بِالمَدِينَةِ . فأبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيها ذَلكَ ، وقَالَ : لَسْتُ تارِكاً شَيْئاً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ(٧٦) .

وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحد الذي جعلها توصي علياً أن لا يصلّي أبو بكر عليها ولا حتى أن يمشي في جنازتها ، وقد وارى الإمام علي (ع) جثمانها الطاهر سرّاً في الليل يقول البخاري في كتاب المغازي :

فأبى أبو بَكْرٍ أنْ يَدْفَعَ إلى فاطِمَةَ مِنْها شَيْئاً فَوَجَدَتْ فاطِمَةُ عَلى أبي بَكْرٍ في ذَلكَ فهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ : وعاشَتْ بَعْدَ النَّبيِّ ﷺ سِتَّةَ أشْهُرٍ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَها زَوْجُها عَليِّ لَيْلاً وَلَمْ يُؤْذِنْ بِها أبا بَكْرٍ وصلّى عَلَيْها(٧٧) .

وأرض «فدك» تلك ، هي قرية في الحجاز كان يسكنها طائفة من اليهود ، ولمّا فرغ الرسول (ص) من خيبر ، قذف الله في قلوبهم الرعب ، فصالحوا رسول الله (ص) على فدك ، فكانت ملكاً لرسول الله (ص) لأنها مما لم يُوجف عليها بِخَيلٍ ولا ركاب ، ثم قدّمها لابنته فاطمة الزهراء (ع) ، بالإضافة لما مَلِكَهُ الرسول (ص) من خمس خيبر وصدقات النبي (ص) ، فكانت هذه كلها ملكاً لرسول الله (ص) خاصّةً ولا حقّ فيها لأحد غيره . . .

كانت فاطمة الزهراء (ع) ـ حسب رأي أبي بكر ـ قد طالبت بما ليس لها حق فيه . فإنها تكون على واحد من أمرين لا ثالث لهما : فإما أنها كانت جاهلة لا تدري بحكم ميراث النبي (ص) ، وإمّا أنها كانت كاذبة تطمع بأخذ ما ليس حقّها . وكلا الأمرين مستحيل على الزهراء (ع) التي كان يغضب الله لغضبها وهي سيدة نساء المؤمنين وأهل الجنة وقد طهّرها الله تعالى من كل إثم ورجس كما مر سابقاً ، والتي قال فيها رسول الله (ص) :

فاطِمَةُ بِضعَةٌ مِني ، فمَن أغْضَبَها أغْضَبَني(٧٨) .

---

(٧٦) صحيح البخاري ص ٢٠٨ ج ٤ كتاب الخمس .

(٧٧) صحيح البخاري ص ٣٨٢ ج ٥ كتاب المغازي .

(٧٨) صحيح البخاري ص ٧٥ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

وقال لها : يا فاطِمَةُ ، ألا تَرْضَيْن أنْ تَكُوني سَيِّدَةَ نِساءِ المُؤْمِنِينَ أوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هَذِهِ الأُمَّةِ ؟[٧٩] .

وقال أيضاً : فاطمةُ سَيِّدَةُ نِساءِ أهْلِ الجَنَّةِ[٨٠] .

وحتّى لو سلّمنا أن فاطمة (ع) كانت كسائر النساء وليس لها كل تلك الميّزات ـ كما في الروايات أعلاه ـ فإنّ كونها ابنة لمعلم البشرية وزوجةً لأمير المؤمنين علي الذي شهدوا له بأنه أقضاهم ـ أي أعلمهم ـ ينفي عنها أي احتمال لجهل ، ذلك أنّه لو كانت فاطمة (ع) تطالب بما ليس حقّاً لها ـ كما رأى أبو بكر ـ وأنّ النبي (ص) لا يورث ، فإنّ أيّاً من أبيها أو زوجها كان الأجدر أن يعلمها بذلك ، بل إن زوجها علياً ـ أقضاهم باعترافهم ـ كان سيمنعها عن المطالبة بذلك الإرث لو لم يكن حقها .

ولكن هيهات أن تكون والعياذ بالله كذلك ، فإنّه لما بلغها منع أبي بكر حقّها من فدك وما أفاء الله على أبيها بالمدينة وخمس خيبر ، ذهبت إليه وهو في حشد من المهاجرين والأنصار ، وخطبت فيهم بما أجهش له القوم بالبكاء ، فقالت في جملة ما قالت : « . . . وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، ولاحظ ، ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ ، وَيْهَاً معشر المسلمين ، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً ـ ثم تلت عليهم ـ ﴿ **وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ إيهاً بني قيلة ! أأهتضم ميراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع ؟ . . . » ـ إلى آخر تلك الخطبة[٨١] .

إن معنى قول رسول الله (ص) : « لا نورث » لا يعني منع قوانين الميراث على متاع الأنبياء وأملاكهم الدنيوية ـ كما اجتهد في ذلك أبو بكر ـ ،

---

(٧٩) صحيح البخاري ص ٢٠٢ ج ٨ كتاب الإستئذان .

(٨٠) صحيح البخاري ص ٧٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٨١) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ، مطبعة المدني ص ٥٠١ .

فقد ورث النبي سليمان داود كما نصّ القرآن على ذلك في قوله تعالى ﴿ وورث سليمان داو . . . ﴾[٨٢] ، كما أنّ زكريا يدعو الله تعالى أن يرزقه من يرثه ، فرزقه يحيى : ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيّاً ، يا زكريا إنّا نبشّرك بغلام اسمه يحيى . . . ﴾[٨٣] ، وليس معنى يرثني في الآية السابقة أن يرث النبوة ، لأنّ النبوة ليست بالوراثة ، وبذلك فإنّ معنى قول الرسول (ص) : « لا نورث » ـ على فرض وجوده ـ : هو أنّ الأنبياء لن يجمعوا أو يكدّسوا الذهب والفضة ، ليكون ميراثاً بعدهم ، كما يفعل الملوك وطلاب الدنيا .

تنبيه : لا بد من توضيح أمر مهم ، هو أنّ تخلف علي (ع) عن مبايعة أبي بكر كان بسبب وصية الرسول (ص) له بالإمامة والخلافة لا بسبب حرمان أبي بكر لفاطمة (ع) من ميراثها كما يحلو للبعض أن يبرّر تخلّفه ذلك ، وإلاّ ، فما السبب الذي يجعل جمعاً من أعاظم الصّحابة يتخلّفون عن البيعة أيضاً وقد والوا عليّاً ، وما معنى قول عائشة ـ كما مر في رواية سابقة ـ : كراهية ليحضر عمر ؟ فعمر لم يكن له أيّ تدخل في مسألة الخلاف على ميراث فاطمة (ع) ، بينما رأينا كيف كان له الدور الحاسم في إنهاء صراع السقيفة على الخلافة لصالح أبي بكر ، فضلاً عن أن مسألة الميراث لا تعتبر مانعاً أو مبرراً في أي حال من الأحوال لعدم إعطاء الإمام (ع) البيعة لأبي بكر إلاّ إذا رأى فيه أنه خليفةً غير شرعي، ولو لم يكن الأمر كذلك ، لكان واجباً على الإمام علي أن يبادر إلى البيعة دون تخلّف ولو ليوم واحد ، فكيف إذا كان تخلّفه ستة أشهر ؟

هل ألمح الرسول (ص) بآستخلاف أبي بكر ؟

إنّ بعض الناس يستند بإحتجاجه على أحقية أبي بكر بالخلافة وإلماح الرسول (ص) له بذلك ، إلى رواية أخرجها ابن الجوزي بسنده عن عليّ (ع) : قال : « لما قُبض رسول الله (ص) ، فوجدنا النبي (ص) قد قدّم أبا بكر في الصّلاة ، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله (ص) لديننا ،

---

(٨٢) النحل : ١٦ .
(٨٣) مريم : ٦ ، ٧ .

فقدّمنا أبا بكر »[٨٤] ، وهذه الرواية فيها كذب صارخ ، فعليٌّ (ع) الذي يدّعون روايته لهذا الحديث هو الذي خالف أبا بكر ولم يبايعه إلاّ بعد ستة أشهر وقد تشيّع حوله المخالفون من عظماء الصحابة ـ كما مر ـ ، وعلى تقدير صحة الرواية فإنّه يلزم أن يكون الإمام علي (ع) أول من يبايع . بل إن الرواية تناقض بصورة فاضحة خطب الإمام علي (ع) المعروفة والتي تضج كلها بالشكوى من خلافة أبي بكر واستيلائه عليها .

وبالإضافة إلى تخلف علي (ع) عن مبايعة أبي بكر الذي يكفي وحده لدحض تلك الرواية ـ هناك دلائل أخرى تؤكد كذبها منها :

أ ـ بعثة أُسامة بن زيد التي عقد رسول الله (ص) لواءها بيده الشريفة ، وحث الصّحابة على المسير بها وهو في آخر لحظات عمره الشريف ، وقد كان بين أفراد تلك السّرية كبار المهاجرين ـ أمثال أبي بكروعمروأبي عبيدة ـ فلو أراد الرسول (ص) أن يستخلف أبا بكر لما جعله بين أفراد تلك السّرية .

ب ـ ولو صحت الرواية أعلاه ، لأحتجّ بها أبو بكر نفسه يوم السقيفة على مخالفيه في الوقت الذي كان هو في أمسّ الحاجة لحجّة يحسم بها ذلك الصراع ، بينما رأيناه يحتجُّ يومئذٍ بأنّ قبيلة قريش هي « أعرب العربان أحساباً » كما مرّ .

حـ ـ وفوق كل ذلك ، فإن هذه الرواية تُدحض بالروايات القطعية الثبوت في استخلاف علي (ع) فراجع ما أوردنا في ذلك من نصوص في الصفحات السابقة .

هل ماتت فاطمة (ع) ميتة جاهلية ؟

إن موت فاطمة الزهراء (ع) غاضبة على أبي بكر من دون أن تبايعه ، وقد أوصت بأن لا يصلي عليها وحتى بأن لا يمشي في جنازتها ـ انظر الحديث أدناه ـ يدلّ دلالة قاطعة على ماهية الإمام (أو الأمير) الواجب الطاعة والمقصود في الأحاديث التالية أدناه :

---

(٨٤) ابن الجوزي : كتاب صفوة الصفوة .

فَغَضِبَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أبا بَكْرٍ فَلَمْ تَزَلْ مُهاجِرَتَهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ ، وعاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أشْهُرٍ(٨٥) .

فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَها زَوْجُها عَلِيٌّ لَيْلاً وَلَمْ يُؤْذِنْ بِها أبا بَكْرٍ وصَلَّى عَلَيْها(٨٦) .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : مَنْ كَرِهَ مِنْ أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً(٨٧) .

وفي صحيح مسلم : « من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »(٨٨) .

وفي مسند أحمد : « من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية »(٨٩) .

فالإمام (أو الأمير) المقصود بالأحاديث الثلاثة أعلاه ـ تلك الأحاديث التي تبيّن وجوب طاعة الإمام وأن من يموت من دون مبايعته فإن ميتته جاهلية ـ ليس حتماً أبا بكر ، لماذا ؟؟؟

لأنه لو كان أبو بكر هو الخليفة وكان الموت مع مخالفته يعني الموت ميتة جاهلية ، لكانت فاطمة التي يتفق جميع المسلمين على أنها سيدة نساء المؤمنين ، وسيدة نساء الجنة ، والتي يغضب النبي (ص) لغضبها الذي يعني بلا شك غضب الله تعالى على مَنْ يغضب عليه ، لأنها عليها السلام من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهرها تطهيراً ، إذ قال فيها رسول الله (ص) : فاطِمَةُ بِضعَةٌ مِنِّي ، فَمَن أغْضَبَها أغْضَبَني(٩٠) ، بل وقال

---

(٨٥) صحيح البخاري ص ٢٠٨ ج ٤ كتاب الخمس .
(٨٦) صحيح البخاري ص ٣٨٢ ج ٥ كتاب المغازي .
(٨٧) صحيح البخاري ص ١٤٥ ج ٩ كتاب الفتن .
(٨٨) صحيح مسلم .
(٨٩) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٦ .
(٩٠) صحيح البخاري ص ٧٥ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

فيها أيضاً : فاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ[٩١] ، نقول إذاً تكون فاطمة (ع) صاحبة هذه المكانة عند الرسول (ص) وعند المسلمين قد ماتت ـ والعياذ بالله ـ ميتة جاهلية ، لأنها ما كرهت من أبي بكر موقفه وتصرفه معها ومع زوجها فقط ، بل ولقد خرجت من سلطانه لا شبراً واحداً فحسب ، بل أميالاً برفضها إعطاء البيعة له وبغضبها عليه وموتها وهي على ذلك ووصيتها بأن لا يصلّي عليها .

نتيجة :

وعليه فإن الأئمة (أو الأمراء) المقصودين في الأحاديث السابقة والواجبي الطاعة هم ليسوا مَنْ خالفتهم فاطمة الزهراء (ع) قطعاً .

فمن هم إذن هؤلاء الأئمة (أو الأمراء) الذين طاعتهم واجبة وعدم مبايعتهم هلاك ؟؟

لقد أجاب الرسول (ص) علىٰ هذا السؤال حيث قال :

قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيراً[٩٢] .

وغيرها كما مرّ ذلك في نصوص الإمامة السابقة .

رابعاً : استخلاف عمر وبيعته :

لما نزل بأبي بكر المرض دعا عثمان بن عفان وقال له : اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أمّا بعد : فاغمي على أبي بكر ، فكتب عثمان : أما بعد فإنّي استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً ، ثم أفاق أبو بكر فقال : أراك خفت أن يختلف الناس أن أسلمت نفسي في غشيتي ، قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرّها أبو بكر من هذا الموضع[٩٣] .

---

(٩١) صحيح البخاري ص ٧٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٩٢) صحيح البخاري ص ٢٥٠ ج ٩ كتاب الأحكام .

(٩٣) تاريخ الطبري ، تاريخ دمشق لابن عساكر .

وكما يُروى أنّ عمر كانت بيده الصحيفة التي فيها استخلاف أبي بكر له وكان يقول للنّاس : « أيها الناس آسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ، إنه يقول : إنّي لم آلكم نصحاً »[٩٤] .

ويتّضح أن أبا بكر كان يخاف على الناس من الاختلاف بعده والتنازع على الخلافة ، فأوصى بها إلى عمر وجعلها مكتوبة على صحيفة حتى تكون حجّةً على الناس ولا يكون هناك فرصة للتنازع فيها .

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو :

أو لم يفكر الرسول (ص) كما فكّر أبو بكر ؟ أو لم يَخَفْ على الأُمة من الاختلاف والتنازع على الإمارة كما خاف أبو بكر ؟

وكم كان من الفَرْق بين حال المسلمين عند وفاة رسول الله (ص) وحالهم عند وفاة أبي بكر ، أليس احتمال الاختلاف والتفرق بعد وفاته (ص) كان أقوى وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقاً من خطر الردّة والمنافقين والرومان المتربّصين ليغيروا على المسلمين عندما تحين لهم الفرصة لذلك فضلاً عن خطر النزعة القبلية عند الأعراب .

أو لم يفطن الرسول (ص) إلى كل هذه الأخطار المتربّصة بالإسلام وأهله كما فطن أبو بكر ؟

إنّه لمن العجب العجاب ، فرغم كل النصوص الثابتة باستخلاف الرسول (ص) لعلي (ع) ـ كما مرّ سابقاً ـ ، فقد أنكروها جميعاً محتجّين بأن الرسول (ص) قد جعل أمر الخلافة شورى بين المسلمين ـ راجع أحداث السقيفة فترى بأي نوع من الشورى تمّت مبايعة أبو بكر ـ ، وهذا أبو بكر يستخلف عمر على المسلمين بنصٍّ منه ودون مشورة أحدٍ من المسلمين ، فأين الشورى التي يدّعون ؟

وبالطّبع فإنّهم يبرّرون هذا الموقف بأن أبا بكر له من الصلاحية أن يعيّن

---

(٩٤) تاريخ الطبري .

مَنْ شاء مِن المسلمين رأى فيه الصلاحية والقدرة بتحمّل أعباء الخلافة بالرغم من أنه كان في أشد حالات المرض عند قراره بذلك القرار وكتابته لتلك الوصية والتي أُغمي عليه أثناء كتابتها حيث أكملها بدلاً منه عثمان الذي كان يعلم مدى ثقة الخليفتين واحدهما بالآخر، ذلك أنّ عمر بن الخطاب وقف ذلك الموقف المشهود والحاسم يوم السقيفة في مساعدة أبي بكر على نيل الخلافة . والغريب العجيب أنّه لم يقل أحد من الصّحابة إنّ أبا بكر كان يهجر عندما كتب تلك الوصية بالرغم من شدة مرضه وإغمائه أثناء كتابته لوصيّته كما رموا رسول الله (ص) بتلك الكلمة عندما أمرهم أن يأتوه بكتاب يكتبه لهم حتى لا يضلّوا بعده، ومنعوه من كتابة وصيته في ذلك الكتاب الذي كان من الممكن أن يحمله الإمام علي (ع) ويستشهد به عليهم كما فعل عمر بذلك الكتاب الذي كتبه له أبو بكر بالخلافة .

خامساً : الشورى وبيعة عثمان :

لما طُعن الخليفة عمر ، قيل له لو آستخلفت فقال : لو كان أبو عبيدة الجرّاح حيّاً لآستخلفته ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لآستخلفته ، ثم قال لهم : (إنّ رجالاً يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها ، وإن بيعة عمر كانت عن غير مشورة والأمر بعدي شورى)[٩٥] ثم قال: جعلت أمركم شورى إلى ستّة نفر من المهاجرين الأوّلين ، حيث سمّاهم قائلاً : (ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزّبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص ، فإذا آجتمع رأي أربعة ، فليتبع الإثنان الأربعة ، وإذا آجتمع رأي ثلاثة وثلاثة ، فآتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا وأطيعوا . . .)[٩٦] .

ومن الرواية أعلاه يظهر أنّ الخليفة عمر قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف ، وهذه صورة ثالثة من صور الشورى التي يقولون بها ، وقد أمر الخليفة عمر عبد الرحمٰن بن عوف أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين ـ أبي بكر وعمر ـ بالإضافة إلى العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه .

---

(٩٥) تاريخ الطبري .

(٩٦) تاريخ الطبري .

وكما كان متوقعاً فقد أنقسم الستة إلى ثلاثتين ومرشحين هما عليٌّ وعثمان ، وقد رفض الإمام علي شرط العمل بسيرة الشيخين قائلاً : « أعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه واجتهادي »[٩٧] بينما وافق عثمان على ذلك الشرط ، فآلت إليه الخلافة بناءً على ذلك .

وقد أخرج البخاري في صحيحه جزءاً من هذه الحادثة كما يظهر في الرواية التالية .

فَقَالَ : ادْعُ لِيَ عَلِياً فَدَعَوْتُهُ فَناجاهُ حتى ابْهَارَّ اللَّيْلُ . ثُمَّ قامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلى طَمَعٍ . وَقَدْ كانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئاً . ثُمَّ قالَ : ادْعُ لِي عُثْمانَ فَدَعَوْتُهُ فَناجاهُ حتى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا المُؤَذِّنُ بِالصُّبْحِ ، فَلَمَّا صَلى للناس الصُّبْحَ وَاجْتَمَعَ أولَئكَ الرَّهْطُ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَن ثُمَّ قالَ ، أمَّا بَعْدُ ، يا عَلِيُّ إنِّي قَدْ نَظَرْتُ في أمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أرَهُمْ يَعِدِلُونَ بِعُثْمانَ ، فَلا تَجْعَلَنَّ عَلى نَفْسِكَ سَبِيلاً . فَقالَ : أُبايِعُكَ عَلى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالخَلِيفَتَين مِنْ بَعْده ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَبايَعَهُ النَّاس[٩٨] .

مقتل الخليفة عثمان :

لقد أُثير كلام كثير حول مقتل الخليفة عثمان ، وتضاربت الأقوال والروايات في ذلك ، وخصوصاً بما يتعلق بالفئة التي كانت تحرّض على قتله ، والأسباب التي كانت تدفعهم لذلك الأمر ، وبلوغ تلك الأحداث ذروتها بمقتله .

ولكن مهما يكن من أمر ، فإنّه كان من الممارسات على صعيد سدّة الحكم وتعيين الولاة من أقربائه وصرف الأموال لهم من خزينة الدولة ما أثار ضدّه ملامة اللائمين وثورات الثائرين ، وننقل حرفيّاً رأي خالد محمد خالد في ما يتعلّق

(٩٧) خلفاء الرسول لخالد محمد خالد ص ٢٧٢ ط الثامنة .

(٩٨) صحيح البخاري ص ٢٣٩ ج ٩ كتاب الأحكام .

بهذه المسألة : (بل لا نكاد نشّك في أنّ عثمان كان يدرك أيضاً أنّ أكثر الّذين رحّبوا باختياره للخلافة دون « علي » كرّم الله وجهه . . . إنّما فعلوا ذلك رغبة منهم في الإنعتاق من تزمّت الحياة وتقشّف المعيشة اللّذيْنِ طالت معاناة الناس لهما واللذين كانا سيفرضان عناءهما من جديد لو تسنّم الأمر علي بن أبي طالب بمنهجه الصارم وعدله المكين . . .)[99] .

وبذلك فقد لعبت أهواء نفر من أقربائه من بني أميّة بمصاير الدولة وبمقاديرها وأموالها العامة . فهذا أبو سفيان يدخل عليه بعد البيعة ويقول له : « يا بني أميّة تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة »[100] وفي رواية أخرى : « تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار »[101] .

كل ذلك أدّى إلى اعتراض فضلاء الصّحابة وخلافهم مع الخليفة عثمان ، من هؤلاء الصّحابة أبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر الذين وقف منهم الخليفة موقفاً متشدداً .

فأمّا أبو ذر فقد لاقى النفي إلى الربذة عقاباً له من الخليفة عثمان بسبب آعتراضه على معاوية ـ والي الخليفة عثمان على الشام ـ في كنزه للذهب وتبذيره للمال على حساب بيت مال المسلمين :

مَرَرْتُ بالرَّبَذَةِ فإذَا أنا بأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : ما أنْزَلَكَ مَنْزِلَكَ هذَا؟ قالَ : كُنْتُ بالشَّأمِ فاخْتَلَفْتُ أنا ومُعَاوِيَةُ في ـ والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَها في سَبِيلِ اللَّهِ ـ قالَ مُعَاوِيَةُ : نَزَلَتْ في أهْلِ الكِتابِ . فَقُلْتُ : نَزَلَتْ فِينا وفِيهِمْ . فَكانَ بَيْني وبَيْنَهُ في ذلكَ ، وكَتَبَ إلى عُثْمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْكُوني ، فَكَتَبَ إليَّ عُثْمانُ : أنِ أقْدِمِ المَدِينَةَ فَقَدِمْتُها : فَكَثُرَ عليَّ النَّاسُ حتَّى كأنَّهُمْ لَمْ يَرَوْني قَبْلَ ذلكَ . فَذَكَرْتُ ذلك

---

(٩٩) خلفاء الرسول ص ٢٧٦ ط الثامنة .

(١٠٠) تاريخ الطبري ، المسعودي ، ابن الأثير ، الإستيعاب .

(١٠١) ابن الأثير ، المسعودي ، تاريخ الطبري .

لِعُثمانَ فَقالَ لي : إنْ شِئْتَ تَنَحَّبْتَ فَكُنْتَ قرِيباً . فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَني هذَا المَنزِلَ ، وَلَوْ أَمَّرُوا عَليَّ حَبَشِيّاً لَسَمِعْتُ وأطَعْتُ[١٠٢] .

وأمّا عبد الله بن مسعود صاحب بيت المال في الكوفة ، فقد لاقى كسراً في أضلاعه[١٠٣] بعد أن ضربه غلام عثمان عقاباً له بسبب آعتراضه على الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ أخو الخليفة عثمان لأُمّه وواليه على الكوفة بعد أن عزل سعد بن أبي وقّاص عنها ـ لأخذه مالاً من بيت المال دون إرجاعه .

وأمّا عمار بن ياسر فقد لاقى الفتق من جراء الضرب الشديد من غلام عثمان عقاباً له بسبب عمله بوصيّة ابن مسعود بأن يصلّي عليه ويواري جثمانه دون علم الخليفة حتى لا يصلّي عليه[١٠٤] .

وغير ذلك الكثير من المواقف التي كان سببها تصرف أقرباء الخليفة عثمان من بني أُمية وتبذيرهم من أموال الدولة العامة لا سيما مروان بن الحكم الذي أخذ وحدَه خمس خراج افريقيا ، ولا عجب في ذلك ، فقد كانت الغنائم والأموال تتدفق على خزينة الدولة كالماء المنهمر ويعود ذلك لبلوغ الفتوحات آماداً بعيدة زمان الخليفة عثمان .

وقد كان لاعتراض أُم المؤمنين عائشة على الخليفة عثمان وغضبها ما عمل على ازدياد ثورة الثائرين وارتفاع صوت المعارضين بتحريضها على قتل الخليفة واتّهامه بتغيير سنة النبي (ص) بقولها :«آقتلوا نعثلاً فقد كفر»[١٠٥] وقد انتقلت هذه الكلمة من فم أُم المؤمنين وآنتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم ، فآجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الّذين وصلوا من مصر والشام والكوفة فقتلوه .

---

(١٠٢) صحيح البخاري ص ٢٧٨ ج ٢ كتاب الزكاة .

(١٠٣) البلاذري في أنساب الأشراف ، الواقدي ، تاريخ اليعقوبي .

(١٠٤) شرح ابن أبي الحديد ، تاريخ اليعقوبي .

(١٠٥) الطبري ج ٤ ص ٢٧٧ ط القاهرة ١٣٥٧ هـ ، والنهاية لابن الأثير وغيرها .

بيعة الإمام علي (ع) :

بعد مقتل الخليفة عثمان ، تهافت الناس على الإمام علي (ع) يطلبون يده للبيعة ، فقالوا له : إنّ هذا الرجل قد قُتل ، ولا بد للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك ، وتمت البيعة .

ولما أراد الإمام علي (ع) أن يقيم العدل بين الناس فيجعل الضعيف يساوي القوي لا فرق بينهما ، وأن يقيم الحدود التي أنزلها الله في كتابه ، عارضه بعضهم ، وقاموا ضدّه وأثاروا الفتن وسيّروا الجيوش ، معلنين العصيان والتمرد على خليفة المسلمين وإمامهم الواجب الطاعة ، وكان ذلك في موقعتين حاسمتين هما الجمل وصفّين .

سادساً : موقعة الجمل وخروج أمّ المؤمنين :

عندما علمت أم المؤمنين بمقتل الخليفة عثمان ومبايعة الناس لعلي (ع) قالت لمن أخبرها بذلك وهو عبيد الله بن كلاب : « والله ليت هذه آنطبقت على هذه أن تمّ الأمر لصاحبك ، ويحك انظر ما تقول ؟ !! » فقال لها عبيد : هو ما قلت لك يا أمّ المؤمنين ، فولولت ، فقال لها : ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف أحداً أولى لها منه ، فلماذا تكرهين ولايته ؟ وصاحت أم المؤمنين : ردّوني . ردّوني . فآنصرفت إلى المدينة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدمه ! فقال لها عبيد : ولِمَ ؟ فوالله أولّ من أمال حرفه لأنت ، فقد كنت تقولين : آقتلوا نعثلاً فقد كفر ، قالت : إنهم آستتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل ، فآنصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد وآجتمع الناس إليها ، فقالت : يا أيها الناس إنّ عثمان قُتل مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه[١٠٦] .

وقد وافق غضب أم المؤمنين عائشة غضب طلحة والزّبير بعد أن آستردّ الإمام علي (ع) عهد ولايتي اليمن والبحرين منهما ، فنكثا عهديهما للإمام علي (ع)، وذهبا إلى مكة يحثان أم المؤمنين على السير إلى قتال عليّ ، فخرجوا

---

(١٠٦) الطبري ج ٥ ص ١٧٢ وطبعة اوروبا (١/٣١١١ ـ ٣١١٢) وابن الأثير وابن سعد .

وقد سار معهم جيش كبير بقيادة أم المؤمنين متوجّهين نحو البصرة حيث دارت رحى معركة عُرفت باسم « معركة الجمل » ، وقد كان الظفر فيها بجانب جيش الإمام وقُتل فيها طلحة والزّبير وثلاثة عشر ألف من المسلمين ، كل ذلك لأن أم المؤمنين تريد أن تقتصّ من قتلة عثمان ـ كما برّرت خروجها ـ والذين ادعت اندساسهم في جيش الإمام ، ومهما يكن من أمر ، أوَلَمْ يكن الأجدر بها أن تسلّم هذا الأمر إلى وليّ الأمر ؟ وما هي وذاك ؟ فعثمـان رجل من بني أميـة وعائشة من تيّم . إلاّ إذا كان لخروجها سبب آخر غير ذلك ! ؟

وقد أخبر الرسول (ص) بهذه الفتنة ـ التي حدثت من جرّاء خروج أم المؤمنين التي أُمرت أن تلزم بيتها « وقرن في بيوتكن ولا . . . »[107] ـ فقد :

قامَ النَّبيّ ﷺ خَطيباً فأشارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عائِشَةَ فَقالَ : ها هُنا الفتْنَةُ ، ثَلاثاً ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطانِ[108] .

وما يرويه عمّار بن ياسر يدلّ على أنّ من أطاع عائشة بخروجها على الإمام علي (ع) فإن ذلك كان على حساب طاعة الله :

فَسَمِعْتُ عَماراً يَقُولُ : إنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إلَى البُصْرَةِ . وَوَاللَّهِ إنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاكُمْ لِيَعْلَمَ إيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ ؟[109] .

وقد عُرف عن عائشة غيرتها الشديدة من عليٍّ ، فكانت لا تطيق حتى ذكر اسمه :

قال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، أنَّ عـائشَةَ قـالَتْ : لما ثَقُـلَ النَّبيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُه اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَه في أنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأذِنَّ لَهُ ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ في الأَرْضِ ، بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ ،

---

(١٠٧) الأحزاب : ٣٢ .

(١٠٨) صحيح البخاري ص ٢١٧ ج ٤ كتاب الخمس .

(١٠٩) صحيح البخاري ص ١٧١ ج ٩ كتاب الفتن .

قالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : فأخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبَّاسٍ فقالَ : أتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ ؟ قُلْت : لا ، قالَ : هُوَ عَلِيٌّ (١١٠) .

ولعل ما سمعت من قول علي لرسول الله (ص) بشأنها في حادثة الإفك كان سبباً لهذه الغيرة والضغينة (١١١) .

وقد وصف أمير الشعراء أحمد شوقي غيرة عائشة من خلال أبيات يخاطب بها الإمام علي (ع) :

يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل	ماذا رمت عليك ربّة الجمل
أثأر عثمان الذي شجاها	أم غصّة لم ينتزع شجاها
ذلك فتق لم يكن بالبال	كيد النساء موهن الجبال
وإنّ أم المؤمنين لامرأة	وإن تك الطاهرة المبرّأة
أخرجها من كنّها وسنّها	ما لم يزل طول المدى من ضغنها

أسطورة عبد الله بن سبأ :

لقد أعتمدنا في ما أوردناه من روايات في « مقتل الخليفة عثمان » و « حرب الجمل » على روايات موثوقة تنسجم مع واقع الظروف التي أحاطت بهاتين الحادثتين . ويقابل هذه الروايات ، روايات موضوعة وضعها راوٍ واحد ، ومنه أخذ الكُتّاب والمؤرّخون كافة ، والواضع لتلك المجموعة من الروايات هو : « سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي » المتوفّى سنة ١٧٠ هـ ، فإنّ هذا الراوي وضع أسطورة خرافية بطلها « عبد الله بن سبأ » اليهودي الذي نسبه إلى صنعاء اليمن وموجز هذه الأسطورة :

« انّ هذا الشخص الخرافي عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام في عصر عثمان ليكيد بالمسلمين ، فتنقّل في الحواضر الإسلامية ، مصر ، والشام ، والبصرة والكوفة ، مبشّراً برجعة النبي (ص) ، وأنّ عليّاً هو وصيّه . وأنّ عثمان غاصب حق هذا الوصي ، فمال إليه وتبعه جماعات من كبار الصّحابة والتابعين من أمثال

---

(١١٠) صحيح البخاري ص ١٣٣ ج ١ كتاب الوضوء .

(١١١) صحيح البخاري ص ٢٥٢ ج ٦ كتاب التفسير .

عمار بن ياسر وأبي ذر ومحمد بن أبي حذيفة وغيرهم ، واستطاع أن يجيّش الجيوش لقتل الخليفة عثمان حتى قتلوه في داره ، وهكذا يسلسل « سيف بن عمر » الحوادث في اسطورته الموضوعة حتى ينتهي إلى حرب الجمل حيث يأمر « عبد الله بن سبأ » أتباعه بالاندساس في جيشي علي وعائشة دون علمهما ، فيثيروا الحرب ، وهكذا وقعت معركة الجمل »[١١٢] .

هذه الأسطورة الخرافية وضعها « سيف بن عمر » ومنه أخذ جميع المؤرخين ، ثم آشتهرت القصة وآنتشرت في كتب التاريخ مدى القرون حتى يومنا هذا ، حتى أصبحت من الحوادث الشهيرة التي لا يتطرّق إليها الشك ، وقد فات معظم الكتّاب والمؤرخين من الشرقيين والمستشرقين : أنّ هذه الأسطورة وضعها راوٍ واحد فرد لا شريك له ، وأنّ الراوي هذا مشهور عند القدامى من علماء الحديث بالوضع ومتّهم بالزندقة ، فقد قال فيه أبو داود : « ليس بشيء ، كذاب » وقال ابن عبد البرّ : « سيف متروك وإنما ذكرنا حديثه للمعرفة » وقال فيه النسائي : « ضعيف متروك الحديث ليس بثقة ولا مأمون » .

وقد أخذ عن هذا الراوي الطبري وابن عساكر وابن أبي بكر ، ومن الطبري أخذ سائر الكُتّاب والمؤرخين إلى يومنا هذا . وهكذا انتشرت الأسطورة في الكتب التاريخيّة بعد أن رواها الطبري عن سيف بن عمر وحده .

ومن المعروف أن روايات الآحاد لا تفيد إلاّ الظن العلمي ، ولا تفيد يقيناً ، وما بالك إذا كان راويها الواحد هذا غير ثقة بل وقد آشتهر بكذبه وزندقته ، فهل تُقبل روايته ؟

وكيف يُقبل أن يُحكم على طائفة كبرى من المسلمين بناءً على رواية آحادٍ ويُهمل ما تواتر عن رسول الله (ص) من أحاديث تثبت عكس ما آفترى به ذلك الكذاب سيف بن عمر التميمي ؟؟

وإنّه لمن أكبر مهازل التأريخ أن يُنسب التشيّع إلى رجل أسطوري هو « عبد الله بن سبأ » وبأنه هو القائل بالوصية لعلي مع وجود كل تلك الأحاديث

---

(١١٢) أحاديث أم المؤمنين للعلامة العسكري ص ٢٧٢ .

المحمدية التي تثبت أنّ التشيّع لم يكن إلّا محمديّاً لا غير . وراجع نصوص الإمامة في الصفحات السابقة لترى بحق أين محل « عبد الله بن سبأ » فيها من الإعراب .

أعبد الله بن سبأ القائل : « قد تركت فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي » ؟
أعبد الله بن سبأ القائل : « يكون بعدي إثنا عشر إماماً » ؟
أعبد الله بن سبأ القائل : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ؟

وأي مهزلة تلك نقبلها من أنّ رجلاً يهودياً يأتي من اليمن ويعلن إسلامه نفاقاً ، ثم يعمل كل تلك الأعمال الخارقة التي تصل إلى حد تسييره للجيوش الإسلامية بعضها ضد بعض دون علم أحد به ! أعلى هذه الدرجة من الغفلة كان قادة المسلمين وأئمتهم ؟ لا شك أنّ مَنْ يقول بذلك قد ضلّ ضلالاً مبيناً . والجدول الآتي يبيّن سلسلة رواة الأسطورة السبئية من واضعها الأول « سيف بن عمر التميمي » إلى رواتها من المتأخرين .

سِلسلة روَاة الأسْطورة السَبأيّة[113]

مختلقها سَيف بن عمر التميمي المتوفى بعد ١٧٠ هـ

روَاته

ابن عساكر (٥٧١ هـ)   الطبري (٣١٠ هـ)   الذهبي (٧٤٨ هـ)
ابن الأثير (٦٣٠ هـ)   المستشرقون
أبو الفداء (٧٣٣ هـ)   ابن كثير (٧٧٤ هـ)   دائرة المعارف الإسلامية
ابن أبي بكر (٧٤١ هـ)   ابن خلدون (٨٠٨ هـ)   ميرخواند (٩٠٣ هـ)
فان فلوتن   نيكلسن
ابن بدران (١٣٤٦ هـ)   فلها وزن
رشيد رضا (١٣٥٦ هـ)   غياث الدين (٩٤٠ هـ)   دوايت . م   دونالدسن
سعيد الأفغاني   حسن إبراهيم   فريد وجدي   أحمد أمين

سابعاً : موقعة صفين وتمرّد معاوية :

بعد أن تمّ لعلي (ع) النصر في موقعة الجمل ، توجّه الإمام (ع) بجيشه

(١١٣) نفس المصدر السابق ص ٢٧٧ .

لتصفية المعارضة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان في الشام وتلاقى الجيشان عند الفرات ، وقد حاول الإمام إصلاح الموقف بالوسائل السلمية ، إلاّ أنّ رد معاوية على الوفد الذي بعثه إليه الإمام كان : « انصرفوا عني فليس عندي إلاّ السيف »(١١٤) . وهكذا آلتحم الجيشان ، وعندما لاحت تباشير النّصر لصالح معسكر الإمام (ع) وأوشكت الفئة الباغية على الانهزام ، دبّروا « خدعة المصاحف » ، فرفعوا المصاحف على رؤوس الرمّاح والسيوف ، مما نجم عن تلك الخطّة الماكرة تغيّر جوهري في الموقف العام ، ومع أنّ الإمام تصدّى لكشف خلفيات رفع المصاحف بأنّها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (ع) ، إلاّ أنّ المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة ، واضطروه إلى قبول التحكيم . ورغم معارضة الإمام الشديدة لإختيار أبي موسى الأشعري حَكَماً ممثلاً لجيشه في التحكيم لضعفه ووهن رأيه ، وذلك حين قال لهم : « لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه ضعيف عن عمرو ومكائده »(١١٥) بالإضافة إلى موقف أبي موسى الأشعري من حكومة الإمام وخصوصاً بعد أن عزله عن ولاية الكوفة ، مما يجعل الثقة به ضعيفة ، مع ذلك أصر فريق في جيش الإمام (ع) على إيفاد أبي موسى بالذات ، مما يدل على مكيدة وتخطيط سابق هدف إلى رفع المصاحف استغلالاً لقدسية القرآن في نفوس المؤمنين والبسطاء ، والتنسيق لذلك مع قاعدة موالية لمعاوية مُنْدَسَّةَ في جيش الإمام ، وقد وسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (ع) حتى فرضوا عليه التحكيم ، وممثل معسكره في التحكيم في ما بعد ، مما جعل نتيجة التحكيم تأتي ـ كما توقع الإمام ـ لصالح معاوية الذي بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً ، بعد أن قام بتمرده الكبير الذي خرج فيه عن طاعة أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الواجب الطاعة ، بغياً منه وطمعاً في النعيم الدنيوي الذي طالما حلم به .

وقد أخبر الرسول (ص) ببغي معاوية حينما قال في حق عمار : « تقتلك

---

(١١٤) الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص ٧٠ .

(١١٥) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ٧٩ .

الفئة الباغية » وقد تحقق ما قاله الرسول (ص) عندما آستشهد عمارٌ وهو يقاتل تحت راية الإمام علي (ع) في صفين :

فَقالَ : كُنَّا نَنْقُل لَبِنَ المَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً وكانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فمرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ومَسَحَ عَنْ رَأسِهِ الغُبارَ . وقالَ : وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ . عَمَّارُ يَدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ ويَدْعُونَهُ إلى النَّارِ(١١٦) .

وفي مستدرك الصحيحين : بالسند عن خالد العربي قال : « دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، حدّثنا ما سمعت من رسول الله (ص) في الفتنة ؟ قال حذيفة : قال رسول الله (ص) : دوروا مع الكتاب حيثما دار . فقلنا : فإذا آختلف الناس فمع من نكون ؟ فقال : انظروا الفئة التي فيها ابن سمية فالزموها فإنه يدور مع كتاب الله ، سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : يا أبا اليقظان لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية عن الطريق »(١١٧) .

ولقد كان بغي معاوية أمراً متوقّعاً ، لأنه بعد أن تسلّم ولاية الشام منذ عهد الخليفة عمر ، وتمتع بالنعيم والجاه وبالقصور التي بناها وتوسّع بها زمان الخليفة عثمان ، لم يكن من السهل أن يتخلّى عنها ، وكان يعلم يقيناً أنّ الإمام (ع) إن لم يعزله من الولاية فإنه سيجرّده من جميع ما تملّكه على حساب بيت مال المسلمين ، وأنه سيساويه مع غيره من المسلمين .

وإن حادثته مع أبي ذر زمان الخليفة عثمان لتدل على ما نقول به من تكالبه على الدنيا وتبذيره لأموال الدولة العامة ، وقد أدى اعتراض أبي ذر على معاوية بأن أمر الخليفة عثمان بنفي أبا ذر إلى الربذة بعد أن آستدعاه إلى المدينة .

عن وَهْبٍ قالَ : مَرَرْتُ عَلى أبي ذَرّ بالرَّبْذَة فَقُلْتُ : ما أنْزَلكَ بهَذه الأرْض ؟ قالَ : كُنَّا بالشَّامِ فَقَرأتُ ـ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلا

---

(١١٦) صحيح البخاري ص ٥٢ ج ٤ كتاب الجهاد .

(١١٧) مستدرك الصحيحين .

يُنْفِقُونَها في سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ـ قالَ مُعَاوِيَةُ : ما هَذِهِ فِينا ، ما هَذِهِ إلاّ في أَهْلِ الكِتابِ ، قالَ : قُلْتُ : إنَّها لَفِينا وَفِيهِمْ[118] .

وقد عُوقب أبو ذر بالنفي بالرغم من شهادة الرسول (ص) بصدقه عندما قال : « ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر »[119] .

وخُلُق معاوية في الولاية والحكم يظهر جليّاً من مقولة أبيه لعثمان بعد عقد البيعة له : « يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة »[120] وفي رواية أخرى بزيادة : « فما هناك جنّة ولا نار »[121] ويثبت هذا أنه ما كان دخول هذه العائلة السفيانيّة في الإسلام إلاّ نفاقاً بعد أن دخل في الإسلام جميع الناس عند فتح مكة ، ويتأكد ذلك بالرواية التالية التي ذكرها البخاري في صحيحه ، والتي تُظهر أي نوع من الإسلام هذا الذي دخل قلوبهم وهم له كارهون .

«قالَ أبُوسُفْيانَ : واللَّهِ ما زِلْتُ ذَلِيلاً مُسْتَيْقِناً بأنَّ أمْرَهُ سَيَظْهَرُ ، حتَّى أدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِيَ الإسْلامَ وأنا كارِهٌ »[122] .

ومن أقوال الرسول (ص) في معاوية ما أخرجه مسلم في صحيحه : « بعث النبي (ص) إليه ذات يوم ابن عبّاس يدعوه ليكتب له ، فوجده ابن عبّاس يأكل ، فأعاده النبي (ص) إليه يطلبه ، فوجده يأكل ، إلى ثلاث مرات ، فقال النبي (ص) : لا أشبع الله بطنه »[123] .

---

(١١٨) صحيح البخاري ص ١٤٦ ج ٦ كتاب التفسير .
(١١٩) صحيح الترمذي ، مسند أحمد .
(١٢٠) تاريخ الطبري .
(١٢١) تاريخ الطبري .
(١٢٢) صحيح البخاري ص ١٢٢ ج ٤ كتاب الجهاد .
(١٢٣) صحيح مسلم باب من لعنه النبي .
(١٢٤) صحيح مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها .

وفي صحيح مسلم أيضاً ، قال الرسول (ص) : « أما معاوية فصعلوك لا مال له »[١٢٤] .

وفي مسند أحمد ، قال الرسول (ص) في معاوية وعمرو بن العاص[*] : « اللهم أركسهما في الفتنة رَكْساً ، وَدُعّهما إلى النار دَعّاً »[١٢٥] .

وغير ذلك الكثير من الروايات التي تبيّن حقيقة معاوية ، هذا الذي ختم أعماله في هذه الدنيا بتنصيبه لابنه يزيد السّكير الفاسق خليفة على المسلمين من بعده .

ثامناً : استشهاد الإمام علي (ع) :

كانت آخر موقعة خاضها الإمام (ع) هي موقعة النهروان ، التي خاض فيها قتالاً ضد المجموعة التي فرضت التحكيم عليه في صفّين، ولكّنها ندمت بعد عدّة أيام ، فنكثت عهدها وخرجت من بيعة الإمام ، وعُرفت في ما بعد باسم « الخوارج » أو « المارقين » . وقد آنتصر عليهم الإمام (ع) ، وراح يتهيّأ لآستئناف قتال المعارضين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء بين الحكمين، بَيْد أنّ الإمام علياً (ع) أستشهد على يد «عبد الرحمن بن ملجم»، وهو أحد أفراد الخوارج عندما طعن الإمام بسيف وهو في سجوده ، عند صلاة الفجر ، في مسجد الكوفة ، صبيحة اليوم التاسع عشر من رمضان سنة أربعين للهجرة بعد خمسة أعوام من الحكم .

وقد بقي الإمام (ع) يعاني من الضربة ثلاثة أيام سَمَّى خلالها ولده الحسن السبط (ع) الإمام بعده ليمارس مسؤولياته في قيادة الأمة .

الإمام الحسن (ع) وصلح معاوية :

بعد استشهاد الإمام علي (ع) ، آعتلى الإمام الحسن (ع) المنبر ونهض أهل الكوفة فبايعوه خليفة للنبي (ص) وإماماً للأمة ، إلاّ أنّ ذلك لم

---

* لم يذكر أحمد اسميهما فاللفظ عنده فلان وفلان ، وتجد اسميهما في تاريخ الطبراني بسنده عن ابن عباس .

(١٢٥) مسند أحمد .

يدم سوى ستة أشهر ، إذ عندما وصل إلى الشام نبأ استشهاد الإمام علي (ع)، تحرّك معاوية بجيش كبير نحو الكوفة ليأخذ بيده زمام المسلمين ، ويجبر الإمام الحسن بن علي (ع) على الصلح .

ولم يجد الإمام الحسن (ع) مناصاً من المسالمة ، وعند هذه رمى البعض شكوكاً حول صلح الإمام الحسن (ع) في الوقت الذي آختار فيه أخوه الحسين (ع) طريق الحرب والقتال ؟

إنّ الإمام الحسن (ع) لم يعقد ميثاق الصلح مع معاوية ، بل فُرض عليه ، فقد كان تفكك جيشه ، ولم يكن وضع العراق الداخلي ملائماً للحرب ، وكانت الإمبراطورية الرومانية تتحيّن الفرصة لضرب الإسلام وكانت قد تأهّبت بجيش عظيم لحرب المسلمين ، ولو كانت نشبت حرب بين معاوية والإمام الحسن ، لكان المنتصر فيها حتماً امبراطورية الروم وليس الإمام الحسن (ع) ولا معاوية .

وهكذا فإنّ الإمام الحسن (ع) بقبوله السلام قد أزال خطراً كبيراً كان يهدد الإسلام ، وعلى العموم فإنّ الأجواء السائدة في عصر الإمام الحسن (ع) كانت غير تلك السائدة في عصر الإمام الحسين (ع) الذي آختار في ما بعد طريق الثورة والقتال التي مهّدها له أخوه الإمام الحسن (ع) بتدابيره وبانجلاء حقيقة الملوك الأمويين في زمانه .

وأما بنود معاهدة الصلح فكانت كما يلي :

١ ـ يسلّم الحسن بن علي (ع) الحكومة وأزمّة الأمور إلى معاوية على شرط أن يعمل معاوية وفق مبادىء القرآن وسنّة رسول الله (ص) .

٢ ـ تكون الخلافة بعد موت معاوية حقّاً خاصّاً بالإمام الحسن (ع) ، وإذا حدث له حادث فإن الخلافة ستكون لأخيه الإمام الحسين (ع) .

٣ ـ تمنع الشتائم وكافة الإساءات ضد الإمام علي (ع) سواءً على المنابر أو غيرها . (فقد كان معاوية أمر الخطباء في جميع الولايات بشتم علي والحسنين وابن عباس في كل خطبة جمعة وعيد ، ولم ينفذ معاوية تعهده

هذا ولا سواه مما نصت عليه الاتفاقية) .

٤ ـ ينفق مبلغ الخمسة ملايين درهم الموجودة في بيت المال بالكوفة تحت إشراف الإمام الحسن (ع) ، ويجب على معاوية أن يرسل سنوياً مليون درهم من الخراج إلى الإمام الحسن (ع) ليوزعها على عوائل أولئك الذين استشهدوا في معركتي الجمل وصفّين إلى جانب الإمام علي (ع) .

٥ ـ يتعهد معاوية بأن يدع النّاس قاطبة من أي جنس وعنصر في منأى من الملاحقة والأذى ، ويتعهد أيضاً أن ينفذ بنود هذا الصلح بدقة ويجعل الملّة عليه شهيداً .

تاسعاً : استشهاد الإمام الحسن (ع) :

قام معاوية بتحريض (جعدة بنت الأشعث بن القيس) زوجة الإمام الحسن (ع) ، التي كانت تُنسب إلى إحدى الأسر المخالفة للعلويّين ، مرسلاً إليها مائة ألف درهم ، ووعدها أن يزوّجها بابنه يزيد أذا ما دست السم للحسن بن علي (ع) . وقد خُدعت الزوجة المجرمة بوعود معاوية الجوفاء ، ودسّت السم للإمام ، وكان ذلك سنة ٥٠ هـ ، وفرح معاوية فرحاً شديداً عندما علم بآستشهاد الإمام الحسن (ع) . إذ كان يرى أنّ أكبر عقبة بوجه مآربه ـ خصوصاً توطيد الحكم للأسرة الأموية ـ قد زالت من الوجود .

عاشراً : ثورة كربلاء و آستشهاد الإمام الحسين (ص) :

والإمام الحسين بن علي (ع) هو ثالث أئمة أهل البيت ، وإنّ أهم حدث في حياته كان التضحية والفداء واستشهاده مع أبنائه وأهل بيته وأصحابه في كربلاء ، في واقعة هزّت العقول والأفكار وسُجّلت في صفحات التاريخ ولا تزال باقية وثابتة إلى الأبد .

وإنّ أوضح سبب لثورة الإمام الحسين (ع) هو الانحرافات التي ظهرت آنذاك في الحكام الأمويين وسطوتهم على رقاب الناس . فقد قام معاوية طيلة العشرين سنة من حكمه بتوطيد آستخلاف ابنه «الخليع» يزيد وتقويته ليجعل منه أميرا للمؤمنين وخليفة لرسول الله (ص) على المسلمين ، وقد خالف بذلك معاهدته مع الإمام الحسن (ع) ، ونقض كل عهد عاهد الله عليه .

فقد كان يزيد(*) ـ بآعتراف جميع فرق المسلمين ـ يحتسي الخمر علانية ، ويشرب حتى الثمالة في السهرات الحافلة ، وينشد أشعاراً ضحلة نذكر منها :

شغلتني نغمة الديدان عن صوت الآذان　　وتعوّضت عن الحور عجوزاً في الدنان

ولا غرابة في ذلك ، فقد تربّى يزيد على يد مربية مسيحية ، وكان شاباً أهوج ، خليعاً ، مستبداً ، مترفاً ، ماجناً ، قصير النظر وفاقداً للحيطة كما يصفه المؤرخون .

وبعد وفاة الحسن (ع) في سنة خمسين للهجرة ، قامت الشيعة في العراق بمحاولة تحرر، وشرعت بمراسلة الحسين (ع)، طالبةً منه أن يعزل معاوية عن إمرة المسلمين ، ولكن الإمام الحسين (ع) ذكر في جوابهم أنّ له مع معاوية عهداً وميثاقاً لا يستطيع نقضهما .

وتربّع يزيد على سدة الحكم بعد موت معاوية سنة ستّين للهجرة ، فكان بلاطه بؤرة المجون والإثم ، وفي هذه الحالة ، رأىٰ الإمام الحسين (ع) لا أنّ الظروف مؤاتية فقط ، بل موجبة أيضاً للإنتفاضة والثورة ، من أجل إنقاذ الإسلام والسنن الدينية ، لا من أجل الاستيلاء على الخلافة والسلطة ، التي كانت حظوظ بني أمية في المحافظة عليها أوفر ، وخصوصاً بعد نكوص أهل العراق ورهبتهم من الأمويّين .

ويصرّح الإمام الحسين (ع) في إحدى خطبه بالقرب من كربلاء عن سبب آنتفاضته بقوله : « أيها الناس ، من رأى إماماً جائراً يحلل حرمات الله وينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويخالف سنة نبيّه ، ويحكم بين عباد الله بالإثم والجور ولم ينكره بلسانه وعمله ، كان حقّاً على الله أن يكبه معه في النار » وكذلك قوله : « أيها الناس ، إنّهم أطاعوا الشيطانَ ، وعصوا الرحمن ، وأفسدوا في الأرض وعطّلوا السنن وآستأثروا ببيت أموال المسلمين وحلّلوا

حرمات الله ، وحرّموا ما أحلّه الله ، وأنا أحق الناس بالإنكار عليهم » .

وجمع أصحابه وأهل بيته الذين كانوا بصحبته ، وصارحهم بالنكوص والارتداد الذي حصل في الكوفة ، ثم قال لهم : « قد خذلنا شيعتنا ، فمن أحبّ أن ينصرف ، فلينصرف ، فليس عليه منا ذمام » .

ومع ذلك بقي الإمام الحسين (ع) مصرّاً على قراره ، وبنفس العزيمة التي انطلق بها من مكة المكرمة ، وليس معه سوى أصحابه واخوته وأبنائه وأبناء عمومته ولا يتجاوز عددهم ثمانياً وسبعين ، وهناك قال كلمته التاريخية الخالدة :

إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي ، يا سيوف خذيني

والتقى بجيش يزيد بن معاوية الذي كان قوامه اثنين وثلاثين ألفاً بقيادة الحر بن يزيد الرّياحي ، وكان طبيعيّاً أنّ تُمكّن القوة جيش بني أمية من قتل هذه الفئة القليلة العدد ، وقد تجسّدت في ذلك اليوم مأساة أهل البيت ومظلوميتهم المؤلمة ، وكأنّ يزيد بن معاوية في هذه المأساة كان يدفع الأجر الذي سأله رسول الله (ص) : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى » .

ولقد حدّث التاريخ عن مشاهد وصور مأساوية يصعب على أحد وصفها . . . ومن ذلك مأساة طفل رضيع هو عبد الله ابن الإمام الحسين (ع) ، الذي حمله الإمام إلى المعسكر الأموي يطلب له الماء بعد أن حالوا بين مخيم الحسين (ع) وبين ماء الفرات ، وأخذ منهم العطش مأخذه . . . حمله يطلب له الماء ويحرّك ضمائرهم ويثير إحساسهم الإنساني ، فما كان منهم إلّا أن صوّبوا سهماً نحو الرضيع فأردوه قتيلاً . . . وآستمر تساقط الشهداء من أصحاب الحسين ، وأهل بيته الواحد يتلو الآخر . . . وكان الحسين (ع) آخر من استشهد في تلك المعركة الحاسمة . . . ولم يكتفوا بقتل سيد شباب أهل الجنة بل احتزّوا رأسه وفصلوه عن جسده ، وحمل رأس الحسين ورؤوس أصحابه هدايا يقتسمها القتلة ، ويرفعونها متوجّهين بها إلى يزيد بن معاوية في الشام ذاك الّذي نعته بعض المسلمين « أمير المؤمنين » ، فلا حول ولا قوة إلّا بالله . . . !

إن الأحداث والوقائع والمواقف التي سردناها والتي أجمع عليها رواة المسلمين جميعاً من سنة وشيعة ، تبيّن بوضوح الأهداف السامية التي من أجلها قام الحسين (ع) بانتفاضته ، ومع ذلك ، ورغم الفساد والعهر والضلال الصارخ ورغم المنكر الشائع الذي يجب دفعه باليد واللسان والقلب ، فقد وُجد مَنْ ينتقص مِن قيمة هذه الثورة العظيمة لوقوعهم ضحية الأعلام الأموي المُضلّل الذي حاول جاهداً تزوير التأريخ ، ولوقوعهم ضحية التعصب المذهبي المقيت أيضاً ، فظهرت أحكام معيبة وأقوال مشينة حول ثورة من قال فيه النبي (ص) بإجماع المسلمين أنه سيد شباب أهل الجنة ، كقول ابن تيمية مثلاً إنّ الإمام الحسين (ع) بثورته قد خرج عن طاعة وليّ أمر المسلمين وأنّه قد أثار فتنة في أُمة الإسلام أيضاً . ولو سألنا شيخ الإسلام هذا عن خروج معاوية عن طاعة الإمام علي (ع) ، لكان جوابه بأنّ ذلك كان فتنة وقعت بينهما ولا ذنب لهما فيها .

وما هذه إلّا صورة من صور محاولات التمويه والتزييف المكشوف في التأريخ الإسلامي . وإلّا فكيف يُفسّر تجاهل بعض المسلمين لهذه المأساة التأريخية ، التي يُقتل فيها أبناء رسول الله (ص) بأبشع ما يكون من صُوَر القتل والتعذيب ؟ وليس هذه فقط ، فقد سار على نهج معاوية وابنه يزيد سائر ملوك بني أُميّة في قمعهم لأي حركة معارضة لسلطانهم ، وخصوصاً آل البيت النبوي الذين كانوا ملاحقين دائما بالإضطهاد والتشريد والتقتيل والتعذيب .

وقد كان جورهم على آل البيت وغير آل البيت ، وكان لهم ضحايا في كل ميدان يُحتَمل أن يكون لهم فيه منافس على سلطانهم الدنيوي وملكهم الكسروي ، فقد سجّل التأريخ ـ مثلاً ـ ذلك المشهد المأساوي الذي ذُبح فيه عبد الله بن الزبير وسُلخ في الحرم المكي الذي كانت حتى الجاهلية تقدّسه وتعظّمه ولا تستبيح فيه دماء الوحش فضلاً عن البشر ، ولم تشفع لابن الزبير الكعبة التي تعلّق بستائرها عند حكام بني أُمية وكيف يكون عندهم لبيت الله كرامة وهم الذين رموا الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان الذي أطلق العنان ليد طاغيته الحجّاج يقتل ويذبح الناس بغير حق ، والذي قال فيهما

الحسن البصري : « لو لم تكن لعبد الملك سيئة سوى الحجاج لكفته » وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز : « لو جاءت كل أمة بطاغيتها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم » ، فضلاً عن القصة المشهورة بتمزيق الوليد بن عبد الملك لكتاب الله !! فهل هذه الأعمال تؤهّل صاحبها أن يكون مسلماً ، فضلاً عن أن يكون خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ؟

لا شك أننا بحاجة اليوم إلى إعادة النظر في تأريخنا الإسلامي وإمعان النظر في كثير من الحوادث فيه ، واستنطاقها لما لها من آرتباط وثيق بواقع حياتنا المعاصرة ، وليكون حكمنا على هذه الطائفة أو تلك بعيداً عن الظلم أو التجني ، لأنه بسبب تلك الحوادث آنقسم المسلمون إلى طوائف وشيع متنازعة كلٌ منها تدَّعي أنها الطائفة الناجية ، وليس لأحدٍ أن ينتظر وحيا من السماء لينزل عليه ويخبره باسم هذه الطائفة الناجية ، وقد أعطانا الله تعالى جلّ جلاله عقلاً لنميّز به الخبيث من الطيّب ، ونهانا عن التقليد الأعمى ونبَّهنا ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾ ، وحذّرنا من الأخذ بدعوى كل مَنْ هبَّ ودبّ : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

الشورى بين المبدأ والتطبيق :

لقد حاول بعض المخالفين تفنيد نصوص إمامة أهل البيت بدعوى أنّ إمامة المسلمين قد جُعلت بالشورى ، وآستدلّوا بآيتين من كتاب الله :

أما الآية الأُولى فهي : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾(١٢٦) فهذه الآية لا تدلُّ على مطلق أمر الشورى في جميع شؤون المسلمين ، ذلك أن التشاور لا يصحّ في أمر ورد فيه نصٌّ من الله ورسوله : ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾(١٢٧) . وإلّا ، فهل يجوز التشاور في عدد ركعات الصلاة ـ مثلاً ـ

---

(١٢٦) الشورى : ٣٨ .

(١٢٧) الأحزاب : ٣٥ .

أو غيرها من الأحكام التي ورد فيها نص ، وقد بيّنا ما ورد عن رسول الله (ص) من نصوص في الإمامة لا يبقى معها مورد للتشاور .

وأمّا الآية الثانية فهي : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾[١٢٨] ، إنّ هذه الآية قد وردت ضمن سلسلة من آيات في سورة آل عمران كلها في أمر غزوات الرسول (ص) : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لآنفضّوا من حولك فآعف عنهم وآستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبُّ المتوكلين** ﴾ ، وفيها يظهر جليّاً أنّ المقصود من الأمر بالمشاورة في هذه الآية إنما هو الملاينة معهم والرحمة بهم ، لا أنه مأمور بالعمل برأيهم ، بل يقول له إذا عزمت فتوكّل وآعمل برأيك ؛ ويظهر أن مقام المشاورة الراجحة إنّما هو في الغزوات ، وستجد مثالاً على هذه المشاورة في الفصل الرابع عندما آستشار الرسول (ص) أصحابه بشأن القتال في موقعة بدر .

وإذا سلّمنا جدلاً بأن حكم خلافة النبي (ص) هو بالشورى ، فإننا نسأل :

ما هي صيغة هذه الشورى وما هي طريقة تطبيقها ؟

وما حكم الخليفة الذي يصل إلى الحكم وقد تجاوز مبدأ الشورى ؟

وكيف طبّق الخلفاء هذه الشورى ؟

ثم : لننظر كيف وصل كل من الخلفاء الأوائل إلى الحكم :

١ ـ خلافة أبي بكر :

إنّ الطريقة التي تمّ فيها تنصيب أبي بكر ومبايعته، قد وصفها عمر بن الخطاب بأنها ـ كما مرّ ـ كانت فلتة ، ولكنّ الله وقى شرّها .

وقد رأينا تناحر المهاجرين والأنصار على الخلافة، وقد آحتجّ الأنصار بأحقيّتهم للخلافة بناءً على أصلهم وعراقتهم في زعامة المدينة ومناصرتهم الكبيرة للإسلام ، وكان احتجاج المهاجرين بأنّهم الأعرق أحساباً . وقد آقترح

---

(١٢٨) آل عمران : ١٥٩ .

أبو بكر أن تكون الإمارة مع المهاجرين والوزارة مع الأنصار ، فردّ الأنصار على اقتراحه بأن يكون لكل من الفئتين أمير بقولهم « منا أمير ومنكم أمير » ، وقد رأينا كيف أنقذ عمر الموقف بأخذه لهم بالشدة وإعطاء البيعة لأبي بكر ، في الوقت الذي كان فيه الإمام علي وسائر أقرباء النبي (ص) غير حاضرين وبذلك فإنه لم تُعطَ لأهل بيت النبي (ص) الفرصة في الترشيح أو حتى مجرد إبداء الرأي .

فأين الشورى في ذلك كله ؟ !

٢ـ خلافة عمر :

إن الطريقة التي وصل بها عمر إلى دفّة الحكم كانت بناءً على وصيّةٍ كتبها أبو بكر وهو في مرضه الأخير بحضور عثمان بن عفان فقط ! وحمل عمر تلك الوصية وآستشهد بها على النّاس وأخذ منهم البيعة بذلك .

فأين الشورى في ذلك ؟ !

٣ ـ خلافة عثمان :

إن الطريقة التي وصل بها عثمان إلى دفّة الحكم كانت بناءً على مجلس شورى ، وقد عيّن أعضاءه الستة عمر بن الخطاب وحده ، وجعل أمر الترجيح النهائي بيد عبد الرحمن بن عوف في حالة انقسام الستة إلى ثلاثتين ، كما حصل فعلاً !

فأين الشورى في ذلك ؟ !

٤ ـ خلافة معاوية :

إن الطريقة التي وصل بها معاوية إلى دفّة الحكم ، كانت بناءً على مجالدته بالسيف لخليفة المسلمين وإمامهم المُبايَع من قبلهم ـ بعد أن هرع الناس إليه يبايعونه بعد مقتل الخليفة عثمان ـ ومن ثم إجبار الإمام الحسن (ع) على الصلح .

فأين الشورى في ذلك ؟ !

٥ ـ خلافة يزيد بن معاوية :

إن الطريقة التي وصل بها يزيد إلى دفّة الحكم كانت بناءً على وصيّة من

أبيه معاوية الذي استنّ سنة جديدة في الخلافة بجعلها وراثية .

فأين الشورى في ذلك ؟ !

وقد وطّد يزيد أمر خلافته بذبحه للحسين (ع) وسائر أبناء الرسول (ص) في كربلاء . . . وهكذا وصل بقية حكام المسلمين منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا .

فالطريقة التي تمّ فيها تنصيب الخلفاء بالوصف الذي ذكرناه ، إذا قارناها بالطريقة التي يتم فيها تعيين الحكام في الدول الغربية عن طريق ما يُسمّى « بالديموقراطية » . . .

فأي من الطريقتين يحكم بتفضيلها العقل السليم المتجرد من أي تعصّب ديني أو مذهبي ؟؟؟

لقد رفض جمهور المسلمين من أهل السنّة النصوص الواردة عن الرسول (ص) بتعيين الأئمة من أهل البيت خلفاء له على الأمة الإسلامية ، فأنكروا النصوص في ذلك وآستنكروها على من يعتقد بها ، قائلين بأنّ الأمر شورى ، بينما الشورى لم يكن لها أي أثر في تنصيب الخلفاء الذين يقبلونهم .

رفضوا النص من النبي (ص) بشأن الخلافة ، وقبلوه من غير النبي (ص) ، ولم يشترطوا الشورى أمام نصوص سواه بل قبلوا تعيين من عينوه .

حكموا بشرعية يزيد بالرغم من ثورة سيد الشهداء عليه !

وحكموا بشرعية معاوية بالرغم من أنه تمرّد على الإمام علي (ع) وخرج عن طاعته !

إن الخطأ الفادح الذي يقع فيه جمهور المسلمين هو أخذهم نصوص النبي (ص) من المذهب الذي يعتنقونه ـ أي أن كثيراً منهم يرفض الرواية لمجرد أنها تخالف مذهبه وحتى لو كانت هذه الرواية من كتبه التي يؤمن بصحتها ـ مع أنّ حكم العقل يُوجب أخذ المذهب من النصوص لا العكس .



خاتمة بحث الامامة

لقد عرضنا في مامضى نصوص الرسول (ص) في الإمامة المتمثلة بإمامة أهل بيت النبي (ص)، والمختصّة بالأئمة الإثني عشر (ع)، الّذين أوّلهم الإمام علي بن أبي طالب (ع) . وقد أوضحنا بعض ما غمض في تلك النصوص من دلالات ، وفنّدنا ما أحيط حولها من شُبهات ، ثم بيّنا كيف تعامل جمهور الصّحابة مع تلك النصوص، وقد سار على نهجهم ذلك جمهور المسلمين إلى يومنا هذا .

إنّ مفهوم الإمامة هو الذي فرّق المسلمين منذ لحظة وفاة النبي (ص) إلى يومنا هذا ، وجعلهم سنّة وشيعة ، بالرغم من أنّ كلتا الطائفتين تدّعيان الاقتداء بسنّة النبي (ص)، إلاّ أنّ الشيعة عُرفوا بأخذهم لهذه السنّة عن طريق أهل البيت (ع) وأئمتهم الإثني عشر ، بينما يأخذ أهل السنّة سنّة النبي (ص) من أيٍّ من الصّحابة وقد أضافوا لسنّة النبي (ص) سنّة الخليفتين أبي بكر وعمر (وسترى في الفصول اللاحقة كثيراً من الشواهد على هذه الحقيقة) .

وقد بيّنا كيف آجتهد جمهور الصّحابة من المسلمين المتقدّمين (وقد تميّز منهم في ذلك أبو بكر وعمر وعائشة ومعاوية) مقابل نصوص الرسول (ص) في الإمامة ، الأمر الذي أبعد أئمة أهل البيت عن إدارة أمور الأمة الإسلامية ، وخصوصاً بعد آستشهاد الإمام علي (ع) ، ولكونهم أصحاب حق مهدور ، فقد

أصبحوا تلقائياً حزباً معارضا لا يرى شرعية الحكام الذين تولّوْا أمور المسلمين بغير حق ، فأصبح شيعة أهل البيت حزباً مغضوباً عليه مِنْ قِبل حكام المسلمين وخصوصاً بني أمية وبني العبّاس .

وقد كان آنقسام المسلمين إلى حزبين رئيسيين ظاهرين بعد موقعتي الجمل وصفين ، واستشهاد الإمام علي (ع) - بعد أن كان حزب أهل البيت مستوراً زمان الخلفاء الثلاثة الأولين عملاً بالسياسة الحكيمة التي أتّبعها الإمام علي (ع) - ، عاملاً على أن يُظْهر كل حزب ما لديه من أدلة تشهد بأحقيّة دعواه وتحزّبه ، ولما لم يجد التابعون من أتباع معاوية ويزيد وسائر الحكام الأمويّين ما يفنّدون به نصوص إمامة أهل البيت الدامغة ، ذهب أحدهم وهو « سيف بن عمر التميمي » الذي عُرف بالكذب والزندقة عند المتقدّمين من علماء الحديث ، ذهب (بإيعاز من أمرائه) إلى وضع أسطورة عبد الله بن سبأ ، التي عزا فيها التشيّع إلى هذا الرجل الخرافي ، وقد بيّنا تفنيد هذه المؤامرة . وحتى لو آحْتُمِل أن تكون شخصيّة عبد الله بن سبأ حقيقيّة ، فإنّه ليس هو الذي نادى بوصاية علي وآستخلافه ، بل هو نبي الإسلام محمد (ص) من خلال نصوصه في ذلك التي عرضنا قسماً منها .

الفصل الثاني

عدالة الصحابة

لقد كثر الكلام في عدالة الصحابة ، واختلف الناس في ذلك اختلافاً كثيراً ، فيرى أهل السّنّة أنّ الصحابة جميعهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح ولا يجوز لأحد أن يتوجّه إليهم بالنقد أو الشك في روايتهم لحديث رسول الله (ص) ، ومن يفعل ذلك فإنّهم يفتون بِفسْقِه ويعتبرونه من الزنادقة . وهم بذلك يلتزمون بكل ما رواه الصّحابي ، فيكفي مثلاً عندهم لقبول الحديث المروي ثبوت رواية أيٍّ من الصّحابة له . والصحابي عندهم كما يعرّفه البخاري : هو من صحب النبي (ص) أو رآه من المسلمين .

ولا أرى في حكمهم ذلك بتفسيق كل من ينتقد أحد الصحابة إلاّ مبالغة وإسرافاً في الثقة ، ومعارضةً لكتاب الله وسنة نبيّه والطبائع البشرية كما سنثبت ذلك في الصفحات اللاحقة .

وإنّ ما يُفترى به على الشيعة بأنّهم يكفّرون جميع الصّحابة بالإضافة إلى سبهم ولعنهم ، ما ذلك إلاّ كذب صارخ وليس له أي وجه من الصّحة ، فالشيعة لا يكفّرون الصّحابة ولكن يرون أنهم معرّضون للنقدوالجرح ،وأنهم لم يكونوا على درجة واحدة من العدالة ، فانتقادهم لهذا الصّحابي أو ذاك لا يعني

تكفيرهم له كما يُشيع بعض السّخفاء ، وإذا كان إنتقادهم مبنياً على الدليل فلماذا الغضب وكل هذه الضجّة ؟

ففي الصّحابة مؤمنون أثنى الله عليهم في القرآن الكريم بقوله : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** . . . ﴾[129] . إذاً فالله تعالى خصَّ بالثناء المؤمنين فقط ممن حضروا بيعة الشّجرة ، ولم يشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أُبيّ وأوس بن خولى ، فلا دلالة في الآية على رضا الله تعالى عن جميع الذين بايعوا ، ـ مع أنهم يعدون من الصحابة في زعم البخاري وأمثاله ـ بل ولا تدلّ على حسن خاتمة أمر جميع المبايعين المؤمنين ، فالآية لا تدلّ على أكثر من أنّ الله تعالى رضي عنهم بيعتهم هذه ـ أي قبِلها منهم ـ وأثابهم عليها ، فرضاء الله عن أهل هذه البيعة ليس مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد ، والدليل على ذلك قوله تعالى بشأنهم ﴿ **إن الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾[130] .

فلو لم يجز أن يكون من المبايعين من ينكث بيعته ، وكان رضا الله عنهم محققاً إلى الأبد ـ بسبب أنهم من الصحابة مثلاً ـ لما كانت هناك فائدة لقوله تعالى : ﴿ **فمن نكث فإنما ينكث على نفسه** ﴾ .

وفي الصحابة من أخبر الرسول (ص) بردّتهم بعد وفاته ، ومن ثم هلاكهم يوم القيامة كما يظهر ذلك جليّاً من خلال الروايتين أدناه :

. . . سَعدٍ يقُولُ : سَمِعْتُ النّبيّ ﷺ يقُولُ : أنا فَرَطُكُمْ على الحَوْضِ ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أبَداً ، لَيَرِدُ عَليَّ أقْوَامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُوني ثُمَّ يُحَالُ بَيْني وَبَيْنَهُمْ . قالَ لَسَمِعْتُه يَزِيدُ فِيهِ : قالَ : إنَّهُمْ مِنّي ، فَيُقالُ : إنَّكَ لا تَدْرِي ما بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدي[131] .

---

(١٢٩) الفتح : ١٨ .

(١٣٠) الفتح : ١٠ .

(١٣١) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٤٤ كتاب الفتن .

قالَ عَبْدُ اللّهِ : قالَ النَّبِيُّ ﷺ : أنَا فَرَطُكُمْ عَلى الحَوْضِ . لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجالٌ مِنْكُمْ حتى إذا أهْوَيْتُ لِأُناوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي ، فَأَقُولُ : أيْ رَبِّ ، أصحابِي ، يَقُولُ : لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ[١٣٢] .

وتأكيداً للروايتين السابقتين واللتين تشيران إلى الإحداث والتبديل ـ أي الارتداد ـ فإنّ الرواية التالية تقرنهم بأمم اليهود والنصارى الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه :

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : لَتَتْبَعُنَّ سنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً شِبْراً ، وَذِراعاً ذِراعاً ، حتى لَوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُموهُمْ . قُلْنَا : يا رَسُولَ اللّهِ ، اليَهُودَ وَالنَّصارَى ؟ قالَ : فَمَنْ ؟[١٣٣] .

وفي الصحابة من أخبر الله عنهم بكتابه العزيز : ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهواً آنفضوا إليها وتركوك قائماً** ﴾ فقد نزلت هذه الآية في الصحابة الذين غادروا المسجد أثناء قيام الرسول (ص) وهو يخطب فيهم يوم الجمعة عندما وصلت قافلة من الشام ولم يبق مع الرسول (ص) سوى إثني عشر رجلاً كما يظهر في الروايتين أدناه :

قالَ : أقْبَلَتْ عِيرٌ يَوْمَ الجُمْعَةِ ونَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَثارَ النَّاسُ إلاَّ إثْني عَشَرَ رَجُلاً فأنْزَلَ اللّهُ ـ ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْها** ﴾ ـ[١٣٤] .

قالَ : بَيْنما نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إذْ أقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعاماً فالْتَفَتُوا إلَيها حتَّى ما بقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ اثْنا عَشَرَ رَجُلاً ، فَنزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ ـ ﴿ **وإذَا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْها وتَرَكُوكَ قائماً** ﴾ ـ[١٣٥] .

ونفس العدد ـ من ضمن كل تلك المئات من الصحابة ـ بقي مع

---

(١٣٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٤٤ كتاب الفتن .

(١٣٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ٣١٥ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة .

(١٣٤) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٩١ كتاب التفسير .

(١٣٥) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٨ كتاب الإيمان .

الرسول (ص) ، عند فرارهم في موقعة أحد حيث تبرأ الرسول (ص) من فعلهم :

قالَ : جَعَلَ النَّبيُّ ﷺ عَلى الرَّجالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ اللَّهِ بنَ جُبَيرٍ وأقْبَلُوا مُنْهَزِمينَ فَذَاكَ إذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ في أُخْرَاهُمْ ولمْ يَبْقَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ غير اثْنَي عَشَرَ رَجُلاً(١٣٦) .

عَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : غابَ عَمِّي أنَسُ بنُ النَّضْرِ عَنْ قِتالِ بَدْرٍ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، غِبْتُ عَنْ أوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكينَ ، لَئِنِ اللَّهُ أشْهَدَني قتالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أصْنَعُ . فَلَمَّا كانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ قالَ : اللَّهُمْ إنِّي أَعتَذِرُ إلَيْكَ ممَّا صنعَ هؤُلاءِ ، يَعْني أصحَابَهُ(١٣٧) .

ويوم حنين كان فرارهم أدهى وأمّر ، إذ كانوا يعدّون بالآلاف ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحُبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين . . .** ﴾(١٣٨) الآية .

وفي الصحابة من أنزل في حقهم الآية : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾(١٣٩) .

وكان نزول هذه الآية يوم بدر ـ أو بعده ـ في فئة من الصّحابة كان النبي (ص) استشارهم ليرى مدى استعدادهم للقتال ـ فكان من رأيهم أن يأخذوا العير وما تحمل قافلة أبي سفيان ولا يقاتلوا .

---

(١٣٦) صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٧ كتاب التفسير .

(١٣٧) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٧ كتاب الجهاد .

(١٣٨) التوبة : ٢٥ .

(١٣٩) الأنفال : ٦٧ .

وفي الصحابة من أنّبهم الرسول (ص) على عصبيتهم ونزعاتهم الجاهلية كما يظهر ذلك في الرواية التالية التي تظهر حميتهم القبلية ـ وهم من الصحابة (؟) ـ حتى في محضر الرسول (ص) .

قالَ عَمْرُو : سَمِعْتُ جابِرَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ : كُنَّا في غَزَاةٍ قالَ سُفْيانُ مَرَّةً في جَيْشٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأنْصارِ ، فَقالَ الأنْصارِيُّ : يا لَلأنْصارِ . وَقالَ المُهاجِرِيُّ : يا لَلمُهاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقالَ : ما بالُ دَعْوَى جاهِلِيَّةٍ[140] ؟

فَقامَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أنا واللَّهِ أعْذُرُكَ مِنْهُ ، إنْ كانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْنا عُنُقَهُ ، وإنْ كانَ مِنْ إخْوانِنا مِنَ الخَزْرَجِ أمَرْتَنا فَفَعَلْنا فِيهِ أمْرَكَ . فَقامَ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ وهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ ، وكانَ قَبْلَ ذَلكَ رَجُلاً صالحاً ، وكانَ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ فَقالَ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، لا تَقْتُلُهُ ولا تَقْدِرُ عَلى ذَلكَ . فَقامَ أُسَيْدُ بنُ الحَضِيرِ فَقالَ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، واللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ ، فإنَّكَ مُنافِقٌ تُجادِلُ عَنِ المُنافِقِينَ . فَثارَ الحَيَّانِ الأوْسُ والخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلى المِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وسَكَتَ[141] .

وفي الصحابة من كان يبغض علياً : وفيهم من كان يطعن في تأمير الرسول (ص) عليهم أسامة بن زيد :

عن بُرَيْدَةَ ، عَنْ أبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلياً إلى خالد لِيَقْبِضَ الخُمُسَ وكُنْتُ أبْغَضُ عَلِيّاً وَقَدِ اغْتَسَلَ ، فَقُلْتُ لخالِدٍ : ألا تَرَى إلى هَذا ؟ فَلَمَّا قَدِمْنا عَلى النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرْتُ لَهُ فَقالَ : يا بُرَيْدَةُ ،

---

(١٤٠) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٩٧ كتاب التفسير .

(١٤١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٠٨ كتاب الشهادات .

أَتُبْغِضُ عَلِياً ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قالَ : لا تُبْغِضْهُ فإنَّ لَهُ في الخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ[١٤٢] .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثاً ، وأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسامَةَ بنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ في إمارَتِهِ فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : إنْ تَطْعَنُوا في إمارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ في إمارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ[١٤٣] .

وفي الصحابة مَنْ أخرجهم الرسول (ص) مِن مجلسه عندما رموه بكلمة مؤلمة وهو في مرضه الأخير قبل أن يودّع الحياة الدنيا :

سَمِعَ سَعِيدَ بنَ جُبَيْرٍ : سَمع ابنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما يَقُولُ : يَوْمَ الخَمِيسِ وَما يومُ الخميسِ ، ثُمَّ بَكَى حتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الحَصَى ، قُلْتُ : يـا ابنَ عَبَّاسٍ ، مـا يَوْمُ الخَمِيسِ ؟ قـالَ : اشْتَدَّ بِـرَسُولِ الله ﷺ وجَعُـهُ . فقـالَ : ائْتُوني بِكَتِفٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتاباً لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً ، فَتَنازَعُوا ولا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنازُعٌ . فَقالُوا : مالَهُ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ . فَقالَ : ذَرُوني فالَّذِي أنا فِيهِ خَيرٌ مِمَّا تَدْعُوني إلَيْهِ[١٤٤] .

وفي الصّحابة من تنازع على الإمارة بعد وفاة الرسول (ص) حتى وصل الحد بأحدهم أن يطلب تعيين أميرين واحد للمهاجرين وآخر للأنصار :

ثُمَّ قالَ : أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإسْلاَمِ ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ رَهْطٌ ، وقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ ، فَإذا هُمْ يُرِيدونَ أَنْ يَخْتَزِلُونا مِنْ أَصْلِنا ، وأَنْ يَحْضُنُونا مِنَ الأَمْرِ[١٤٥] .

فَقالَ قائِلُ الأَنْصارِ : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُها المُرَجَّبُ : مِنَّا أميرٌ وَمِنْكُمْ أميرٌ ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ . فَكَثُرَ اللَّغَطُ ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْواتُ ،

---

(١٤٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٤٧ كتاب المغازي .
(١٤٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ٥٧ كتاب فضائل الصحابة .
(١٤٤) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٦٠ كتاب الخمس .
(١٤٥) صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٤١ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الإِخْتِلافِ(١٤٦) .

وفي الصحابة أبو هريرة ـ الذي أفردنا له زاوية خاصة في الفصل الرابع ـ وفيهم أيضاً معاوية بن أبي سفيان فراجع ما ذكرنا بشأنه في الفصل الأول بالإضافة إلى الروايات الأربع التالية :

عَنْ أَبِيهِ قال : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعاهمْ إلى الإِسْلامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنا فجعلُوا يَقُولُونَ صبأنا صبأنا ، فجَعَلَ خالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ ويَأسِرُ وَدَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ حتَّى إذَا كانَ يَوْمٌ أمَرَ خالِدٌ أنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لا أَقْتُلُ أسِيرِي . وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أصحَابي أسِيرَهُ ، حتَّى قَدِمْنا على النَّبِيِّ ﷺ فذكَرْناهُ لَهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ فقالَ : اللَّهُمَّ إنِّي أبْرأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خالِدٌ ، مرَّتَينِ(١٤٧) .

فلَقَدْ رأيْتُنا يوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ، يَعْنِي الصُّلْحَ الّذي كانَ بينَ النَّبِيِّ ﷺ والمُشْرِكينَ ، ولَوْ نَرَى قِتالاً لقاتَلْنا ، فَجاءَ عُمَرُ فَقالَ : ألَسْنا عَلى الحَقْ ، وهُمْ عَلى الباطِلِ ؟ ألَيْسَ قَتْلانا في الجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ في النَّارِ ؟ قالَ : بَلى ، قالَ : فَفِيمَ نُعْطِي الدنيّة في دِينِنا ونَرْجِعُ ، ولَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بيْننا ؟ فَقَالَ : يا ابْنَ الخَطَّابِ ، إنِّي رَسُول الله وَلَنْ يُضَيِّعَني اللَّهُ أبَداً ، فَرَجعَ مُتَغَيِّظاً فَلَمْ يَصْبِرْ حتَّى جاءَ أبَا بَكْرٍ فَقالَ : يا أبا بَكْرٍ ، ألَسْنا عَلى الحَقِّ وَهُمْ عَلى الباطِلِ ؟ قالَ : يا ابنَ الخَطّابِ ، إنهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أبَداً(١٤٨) . فعمر بن الخطاب لم يرضَ ويطمئن بما أجابه به الرسول (ص) فذهب إلى أبي بكر يعترض نفس الاعتراضات ، هذا مع أن النبي (ص) لا يجوز أن يعترض عليه أحد ابتداءً مطلقاً .

عَنْ عُرْوَةَ ، عَن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالَتْ : دَخَلَ عَليَّ رَسُولُ

---

(١٤٦) صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٤٢ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(١٤٧) صحيح البخاري ص ٤٤٠ ج ٥ كتاب المغازي .

(١٤٨) صحيح البخاري ص ٣٤٨ ج ٦ كتاب التفسير .

اللَّهِ ﷺ وعِنْدِي جارِيَتان تُغَنِّيَانِ بِغناءِ بُعاثَ فاضْطَجَعَ عَلى الفِرَاشِ وحَوَّلَ وجْهَهُ . فَدَخَلَ أبُو بَكْرٍ فانْتهرَني وقالَ : مِزْمارَةُ الشَّيْطانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فأقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقالَ : دَعْهُما ، فَلَمَّا غَفَا غَمَزْتُهما فَخَرَجَتا[149] .

فهذا الخبر لا يصح بحال لأن الرسول (ص) لا يمكن أن يستمع للمزامير والغناء ـ دع عنك أن يكون ذلك في بيته ، في حين أن أبا بكر يمتنع عن ذلك وهو يصفه بمزمارة الشيطان ـ فهل أن أبو بكر أتقى لله من رسوله (ص) ؟ والخبر مروي عن صحابة فكيف نوفق بين عدالتهم وصدقهم .

عَنِ ابنِ أبي مُلَيْكَةَ قالَ : كادَ الخَيِّرَانِ أنْ يَهْلكا : أبا بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، رَفَعا أصْوَاتَهُما عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَني تَمِيمٍ[150] .

وأنّ التشرف بصحبة النبي (ص) ليس أكثر امتيازاً من التشرّف بالزواج من النبي (ص) وقد قال تعالى في شأنهن : **﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبيّنة يُضاعف لها العذاب ضعفين ﴾**[151] ، وكذلك قوله تعالى بشأن تظاهر عائشة وحفصة على النبي (ص) : **﴿ أن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وأن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه . . . ﴾**[152] إلى قوله تعالى : **﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النارَ مع الداخلين ﴾**[153] .

وانظر الروايات التالية التي توضح بعض معاني الآيات السابقة :

---

(١٤٩) صحيح البخاري ص ١٠٠ ج ٤ كتاب الجهاد .
(١٥٠) صحيح البخاري ص ٣٤٩ ج ٦ كتاب التفسير .
(١٥١) الأحزاب : ٣٠ .
(١٥٢) التحريم : ٤ .
(١٥٣) التحريم : ١٠ .

عَنْ عُبَيْدِ بنِ حُنَينٍ ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : لَبِثْتُ سَنَةً وأنا أُرِيدُ أنْ أسألَ عُمَرَ عَنِ المَرأتينِ اللَّتَينِ تَظاهَرَتا على النَّبِيِّ ﷺ فجعَلْتُ أهابُهُ ، فنزَلَ يَوماً مَنْزِلاً فَدَخَلَ الأرَاكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ سألْتُهُ فقالَ : عائِشَةُ وحَفْصَةُ ، ثُمَّ قالَ : كُنَّا في الجاهِلِيَّةِ لا نَعُدُّ النِّساءَ شَيْئاً ، فَلَمَّا جاءَ الإِسْلامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رأيْنا لَهُن بذَلكَ عَلَيْنا حَقّاً مِن غيرِ أنْ نُدْخِلَهُن في شَيْءٍ من أُمُورِنا. وكانَ بَيْني وبَيْنَ امْرأتي كَلامٌ فأغْلَظَتْ لي فَقُلْتُ لها: وإنَّكِ لهُناكِ ، قالَتْ : تَقُولُ هَذَا لي وابْنَتُكَ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فأتَيْتُ حَفْصَةَ فقُلْتُ لهَا : إني أُحَذِّرُكِ أنْ تَعْصِيَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ(١٥٤) .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالَتْ : كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ وَيمْكُثُ عنْدَها ، فَواطأْتُ أنا وَحَفْصَةُ عَنْ أيَّتُنا دَخَلَ عَلَيْها فَلْتَقُلْ لَهُ : أكَلْتَ مَغافِيرَ ، إني أجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغافِيرَ . قالَ : لا ، وَلَكِني كُنْتُ أشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ فَلَنْ أعُودَ لَهُ . وَقَدْ حَلَفْتُ لا تخبري بذَلكَ أحَداً(١٥٥) .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها : أنَّ نِساءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَينِ : فَحِزْبٌ فِيهِ عائِشَةُ وحَفْصَةُ وصَفِيَّةُ وسَوْدَةُ . والحِزْبُ الآخَرُ : أُمُّ سَلَمَةَ وسائِرُ نِساءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ(١٥٦) .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهـا قالَتْ : كُنْتُ أغارُ عَلى اللاَّتِي وَهَبْنَ أنْفُسَهُنَّ لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأقُولُ : أتَهَبُ المَرأةُ نَفْسَها ؟ فَلَمَا أنـزَلَ اللَّهُ تَعالى - ﴿ **تُرْجِي مِنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وتُؤوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مَنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ** ﴾ قُلْتُ : ما أرَى رَبَّكَ إلاَّ يُسارِعُ فِي هَوَاكَ(١٥٧) .

---

(١٥٤) صحيح البخاري ص ٤٨٩ ج ٧ كتاب اللباس .
(١٥٥) صحيح البخاري ص ٤٠٤ ج ٦ كتاب التفسير .
(١٥٦) صحيح البخاري ص ٤٥٤ ج ٣ كتاب الهبة .
(١٥٧) صحيح البخاري ص ٢٩٥ ج ٦ كتاب الأدب .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالَتْ : ما غِرْتُ على امْرأةٍ ما غِـرْتُ عَلى خَـدِيجَةَ ، وَلَقَـدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أنْ يَتـزَوَّجَني بِثَلاثِ سِنِينَ ، لِمَـا كُنْتُ أسْمَعُـهُ يَذْكُرُها . وَلَقَدْ أمَرَهُ رَبُّهُ أنْ يُبَشِّرَها بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ . وإنْ كانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي في خُلَّتِها مِنْها[١٥٨] .

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهـا قالَتْ : اسْتَـأذَنَتْ هالَـةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعرَفَ اسْتِئذانَ خَدِيجَةَ فارْتاعَ لِذَلِـكَ . فَقالَ : اللَّهمَّ هالَةَ ، قالَتْ : فَغِرْتُ فَقُلْتُ : ما تَذْكُرُ من عَجُوزٍ مِنْ عَجائِزِ قُرَيْشٍ ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَينِ هَلَكَتْ في الدَّهْرِ قَدْ أبْدَلَكَ اللَّهُ خَيراً مِنْها[١٥٩] .

عَنْ هِشامٍ ، عَنْ أبِيهِ ، عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالَتْ : ما غِرْتُ عَلى أحَدٍ مِنْ نِساءِ النَّبِيِّ ﷺ ما غِرْتُ عَلى خَدِيجَةَ وما رَأيْتُها ، ولكِنْ كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَها . وربُمَّا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُها أعْضَاءَ ثُمَّ يَبْعَثُها في صَـدَائِقِ خَدِيجَـةَ ، فَرُبَّمـا قُلْتُ لَهُ : كـأنَّهُ لَمْ يَكُنْ في الـدُّنْيا امْـرَأَةٌ إلاَّ خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : إنَّها كانَتْ وكانَتْ وكانَ لي مِنْها وَلَدٌ[١٦٠] .

قالَ : قامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيباً فأشارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عائِشَةَ فَقالَ : ها هُنا الفِتْنَةُ ، ثَلاثاً ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطان[١٦١] .

إنّ الحديث الأخير أعلاه يشير إلى الفتنة التي سِيقت إليها أُم المؤمنين وخروجها على رأس جيش لتحـارب الإمام عليّ خليفـة المسلمين في موقعـة الجمل ـ وراجع تفاصيل أكثر في الفصل الأول ـ

ومـا يرتكـز عليه مَنْ يعتقـدون عدالـة جميع الصّحـابـة هـو زعمهم أنّ رسول الله (ص) قال : « أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » وفي رواية

(١٥٨) صحيح البخاري ص ٢٢ ج ٨ كتب الأدب .
(١٥٩) صحيح البخاري ص ١٠٥ ج ٥ كتاب مناقب الأنصار .
(١٦٠) صحيح البخاري ص ١٠٤ ج ٥ كتاب مناقب الأنصار .
(١٦١) صحيح البخاري ص ٢١٧ ج ٤ كتاب الخمس .

أخرى : بأيهم أخذتم قوله . . .

فإذا سلّمنا بصحة هذه الرواية ، وبناءً على الروايات السابقة فإن ذلك سيعني أنّ مَنْ يقتدي بمن يغادر المسجد من أجل متاع دنيوي زائل والرسول (ص) قائم يخطب فقد اهتدى! وأنّ من يقتدي بمن تركوا مواقعهم ـ التي أمرهم الرسول (ص) أنْ يتحصّنوا بها ـ من أجل كسب بعض الغنائم فقد اهتدى ! وإنه مَنْ يقتدي بمن يطعن في تأمير الرسول (ص) لأُسامة فقد اهتدى ! وأنّه من يقتدي بمن يعترض ويتظاهر على النبي (ص) فقد آهتدى ! !

لا شك أنّ في ذلك تناقضاً تأباه الطبائع البشرية والفطرة السليمة ، فضلاً عن أنّ اعتقادنا بصحة تلك الرواية ، يعني أيضاً عصمة جميع الصّحابة ، لأنّ قولهم ذلك قد تضمّن أمراً من الرسول (ص) للمسلمين بالاتّباع والاقتداء بجميع الصّحابة مطلقاً من غير قيد أو شرط ـ حسب ما يفهم من الرواية ـ، ولكنه ليس من الممكن أن يأمر الرسول (ص) باتّباع مَنْ يُحتَمل فعله لمعصية ، وبذلك تُردُّ تلك الرواية لما عُرف قطعاً بعدم عصمة الصحابة .

والحق أن روايتهم تلك قد وُضعت لتكون بديلاً عن الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس : « قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب آختلفوا فصاروا حزب إبليس »[١٦٢] .

وقد كان من أهم الآثار السلبية التي تمخّضت نتيجةً للاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة هو وجود ذلك الكم الهائل من الروايات الغثّة[*] في كتب الحديث كالإسرائيليات والمسيحيّات وغير ذلك من الخرافات مما يُتّخذ مطاعن على دين الإسلام ، ذلك أنّ تلك الروايات قد أخذت محلّ القبول والتصديق لمجرد أنها رُويت عن الصّحابة بالرغم من كل ما يُحتمل عليهم فعله كما بيّنا ذلك من خلال الروايات العديدة السابقة .

---

(١٦٢) مستدرك الصحيحين .

* عرضنا أمثلة كثيرة لأمثال هذه الروايات في الفصل الرابع .

الفصل الثالث

الشيعة والقران الكريم

يعتقد الشيعة أنّ « القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيّه الأكرم في تبيان كل شيء ، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن محاربتها في البلاغة والفصاحة وفي ما احتوى من حقائق ومعارف عالية ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي (ص)، ومن أدّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى ، فإنه كلام الله الذي ـ لا يأتيه الباطل من بينه يديه ولا من خلفه ـ »(١٦٣) ، ويقول شيخ المحدثين محمد بن علي القمي الملقب بالصدوق : « اعتقادنا في القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيّه محمد (ص) هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك . . . ومن نسب إلينا أنّا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب »(١٦٤) .

ويؤكد ذلك ما يقوله البهنساوي وهو أحد مفكري الأخوان المسلمين : « . . . إن الشيعة الجعفرية الإثني عشرية يرون كفر من حرّف القرآن الذي

---

(١٦٣) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص ٤١ الطبعة الثالثة .

(١٦٤) اعتقادات الصدوق .

أجمعت عليه الأمة منذ صدر الإسلام . . . وأنّ المصحف الموجود بين أهل السنّة هو نفسه الموجود في مساجد وبيوت الشيعة » ويواصل في مجال ردّه على (ظهير) و (الخطيب) فينقل رأي السيد الخوئي وهو أحد مراجع الشيعة الكبار في العصر الحاضر : « المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن وأن الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم (ص) »[(١٦٥)] .

وأمّا الشيخ محمد الغزالي فيقول في كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين : « سمعت من هؤلاء من يقول في مجلس عام : إنّ للشيعة قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف . فقلت له : أين هذا القرآن ؟ ولماذا لم يطّلع الأنس والجنّ على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل ؟ لماذا يُساق هذا الإفتراء ؟ . . . فلماذ الكذب على الناس وعلى الوحي »[(١٦٦)] .

وأما الروايات غير الصحيحة التي قد يستند إليها البعض ـ والتي تقول بتحريف القرآن ـ والموجودة في كتب الحديث عند الشيعة ، فإنها مدانة ومرفوضة ومثلها كثير في كتب صحاح الحديث عند أهل السنّة وسنعرض أمثلة لذلك من صحيح البخاري نمهّد لها بما يروونه من نسيان الرسول (ص) لبعض الآيات :

عنْ أبيهِ ، عَنْ عائِشَةَ قالَتْ : سَمِع رَسُولُ اللّهِ ﷺ رَجُلاً يَقْرأ في سُورَةٍ باللّيْلِ فَقالَ : يَرْحَمُهُ اللّهُ لَقَدْ أذْكَرَني آيَةَ كَذَا وكَذَا كُنْتُ أُنْسِيتُها مِنْ سُورَةِ كَذَا وكَذَا[(١٦٧)] .

وفي صحيح البخاري أيضاً أنهم حينما كانوا يجمعون القرآن لم يجدوا جزءاً من سورة التوبة إلّا مع خزيمة الأنصاري ، وهذا يناقض الحقيقة القائلة بأن القرآن منقول بالتواتر لا بروايات آحاد :

الأحزَابِ كُنْتُ أسمَعُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقْرَؤُها لَمْ أجدْها مَعَ أحَدٍ إلاّ مَعَ

---

(١٦٥) السنة المفترى عليها ص ٦٠ .

(١٦٦) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين .

(١٦٧) صحيح البخاري ص ٥٠٨ ج ٦ كتاب فضل القرآن .

خُـزَيْمَـةُ الأنْصَـارِيّ الّـذِي جَعَـلَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ ؟شَهَـادَةَ رَجُلَيْنِ مِنَ المُؤْمِنينَ(١٦٨) .

فَقُمْتُ فتَتَبَّعْتُ القُرآنَ أجمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ والأكْتَافِ والعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجالِ حتَّى وَجَـدْتُ مِنْ سُورَةِ التَـوْبَةِ آيَتَيْنِ مَـعَ خُزَيمَـةَ الأنْصَارِي لَمْ أجِدْهُما مَعَ أحَدٍ غَيرِهِ(١٦٩) .

ومن الروايات التي تقول صراحة بتحريف القرآن ما أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه بالرواية عن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) :

أنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ . فَلَمَّا رَأيْتُهُ مُقْبِلاً قُلْتُ لِسَعيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ . لَيَقُولَنَّ العَشِيَّةَ مَقالَةً لَمْ يَقُلْها مُنْذُ اسْتُخْلِفَ . فَأنْكَرَ عَلِيٌّ وَقالَ : ما عَسَيْتَ أنْ يَقولَ ما لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ ؟ فَجَلَسَ عُمَرُ على المِنْبَرِ . فلَمَّا سَكَتَ المُؤَذِّنُونَ قامَ فَأثْنَى عَلَى اللَّهِ بمَا هُوَ أهْلُهُ ، ثُمَّ قالَ : أمَّا بَعْدُ فَإنِّي قـائِـلٌ لَكُمْ مَقـالَـةً قَـدْ قُـدِّرَلي أن أقُـولَهـا ، لا أدْرِي لَعَلَّهـا بَيْنَ يَـدَيْ أجَلِي . فَمَنْ عَقَلَها ووَعاها فَلْيُحَدِّثْ بِهـا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُـهُ . وَمَنْ خَشِيَ أنْ لاَ يَعْقِلَها فَلا أُحِلُّ لأَحَدٍ أنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ : إنَّ اللَّهِ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالحَقِّ ، وَأنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتابَ ، فَكانَ مِمَّا أنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الرَّجْمِ فَقَرَأناهـا وَعَقَلْناهـا ووَعَيْناها . رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ورجَمْنا بَعْدَهُ . فَأخْشَى إنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمانٌ أنْ يَقولَ قائِلٌ : واللَّهِ ما نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أنْزَلَها اللَّهُ . وَالرَّجْمُ فِي كِتابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلى مَنْ زَنَى إذا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ، إذا قامَتِ البَيِّنَةُ ، أوْ كانَ الحَبَلُ(١٧٠) .

وفي روايـة أخرى : يـودّ عمر أن يضيف تلك الآيـة ـ التي يزعم أنهـا أُسقِطَتْ من كتاب الله ـ بنفسه :

---

(١٦٨) صحيح البخاري ص ٢٩١ ج ٦ كتاب التفسير .

(١٦٩) صحيح البخاري ص ١٦٢ ج ٦ كتاب التفسير .

(١٧٠) صحيح البخاري ص ٥٣٩ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

قالَ عُمَرُ : لَوْلا أنْ يَقُولَ النَّاسُ زَادَ عُمَرُ في كِتابِ الله لَكَتَبْتُ آيَةَ الرُّجْمِ بِيَدِي وَأَقَرَّ ماعِزَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالزِّنَا أرْبَعاً فَأمَرَ بِرَجْمِهِ(١٧١) .

والآية المزعومة كما في رواية صحيح ابن ماجة :

« والشّيخ والشّيخة إذا زنيا فآرجموهما البتّة »(١٧٢) .

والحق في هذا الالتباس أنّ آية الرجم موجودة في توراة أهل الكتاب لا في القرآن الكريم كما أُلتبس على الخليفة عمر :

ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال : أُتِيَ النَّبِي ﷺ بِرَجُلٍ وامْرَأةٍ مِنَ اليهُودِ قَدْ زَنَيا ، فَقالَ للْيَهودِ : ما تَصْنَعونَ بِهِما ؟ قالوا : نُسَخِّمُ وجُوهَهُما ونخزِيهما ، قالَ ، فأتوا بالتَّوْراةِ فاتْلوها إنْ كُنْتم صادِقِينَ ، فَجاءوُا فقالوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَرْضَوْنَ أعْوَرُ - : اقْرَأ ، فقَرأ حتَّى انتهى إلى مَوْضِعٍ مِنها فَوَضَع يَدَه عَلَيْهِ ، قالَ : ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فإذا فيهِ آيَةُ الرَّجْمِ تَلوحُ ، فَقال : يا مُحَمَّدُ ، إنَّ عَلَيهِما الرُّجمَ ولكِنَّا نَتَكاتَمُهُ بَيْنَنا ، فَأمَرَ بِهِما فَرُجِما ، فَرَأيتهُ يُجانِئ عَلَيهِما الحِجارَةَ(١٧٣)

وهذا الخلط بين كتاب الله الحكيم والتوراة الذي وقع فيه الخليفة عمر قد نبّه إليه الرسول الكريم (ص) عندما رأى عمر يقرأ في صحف اليهود فغضب (ص) غضباً شديداً وأمر عمر بعدم قراءتها وقال : « لو كان موسىٰ حياً ما وسعه إلا أن يتبعني »(١٧٤) .

ويُروى عن الخليفة عمر أيضاً قوله :

ثُمَّ إنَّا كُنَّا نقْرَأُ مِنْ كِتابِ اللَّهِ أنْ لا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، أوْ إنَّ كُفْراً بِكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ(١٧٥) .

---

(١٧١) صحيح البخاري ص ٢١٢ ج ٩ كتاب الأحكام .

(١٧٢) سنن أبو داود .

(١٧٣) صحيح البخاري ص ٤٧٦ ج ٩ كتاب التوحيد .

(١٧٤) نقلاً عن كتاب : هذه نصيحتي إلى كل شيعي لأبي بكر الجزائري ص ٨ .

(١٧٥) صحيح البخاري ص ٥٤٠ ج ٨ كتاب الفرائض .

ولا يخفى على أحد أن هذه الآية أيضاً كسابقتها ليس لها وجود في كتاب الله !

ونتقل إلى الصحابي عبد الله بن مسعود (رض) الذي يروى عنه أنه كان يقرأ الآية : ﴿ والليل إذا يغشى . . . ﴾ بزيادة والذكر والأنثى ، وكما هو معلوم أيضاً أن هذه الآية الزائدة ليست من كتاب الله !

ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ يَقرَأ عَبْدُ اللَّهِ ـ واللَّيْلِ إذا يَغْشَى فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ـ واللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأُنْثَى ـ قالَ : واللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إلى فِيَّ(١٧٦) .

وذلك يتناقض بلا شك مع ما رُوي عن رسول الله (ص) أنه قال كما في الروايتين أدناه ، حيث أنه لا يعقل أن يأمرنا الرسول (ص) بإستقراء القرآن ممّن لا يحسن حفظه .

عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ لا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ ما سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ(١٧٧)أ .

وقالَ : إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً ، وقالَ : اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبعةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ، وسالمٍ مَوْلَى أبي حذَيْفَةَ ، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ، ومُعاذِ بنِ جَبَلٍ (١٧٧)ب .

ويروي مسلم في صحيحه عن عائشة (رض) أنها قالت : « كان في ما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات) فتوفي رسول الله وهنّ في ما يقرأ من القرآن »(١٧٨) ، وفي صحيح مسلم أيضاً : (أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قرّاء أهل البصرة وكانوا ثلاثمائة رجل ، فقال في ما قال لهم : وإنّا كنا نقرأ سورة

---

(١٧٦) صحيح البخاري ص ٦٣ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(١٧٧) أ : صحيح البخاري ص ٧٠ ج ٥ ، ب : ص ٧١ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(١٧٨) صحيح مسلم كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات .

كنّا نشبهها في الطول والشدة ببراءة غير أني حفظت منها « لو أنّ لابن آدم واديين من مال لآبتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب »[179] .

وفي كتاب « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي يذكر بعض الروايات بأنّ القرآن ١١٢ سورة فقط أو بإضافة سورتي الحفد والخلع[180] . . . ! وجميع المسلمين لا يعرفون شيئاً اسمه سورة الحفد ولا سورة الخلع إلى غير ذلك من أمثال تلك الروايات الهشة الموجود عند السنة ، والتي نكتفي بالقدر الذي أوردناه منها .

وبعد ، فهل يجوز أن يقول الشيعي إنّ قرآن أهل السنّة ناقص أو زائد بوجود روايات تقول بذلك في كتب الحديث عندهم ؟ بالتأكيد لا ، لأن إجماع أهل السنة هو القول بعدم تحريف القرآن .

وما دام الحال هكذا ، فلماذا نرى هذه الحملة المسعورة من قبل بعض الكتّاب المعاصرين في اتّهام الشيعة بتحريف القرآن لمجرّد وجود روايات ضعيفة تقول بذلك هي مرفوضة عندهم ويقابلها الكثير من أمثال تلك الروايات في كتب صحاح الحديث عند أهل السنّة . فالذي بيته من زجاج لا يرمي بيوت الآخرين بالحجارة .

---

(١٧٩) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب لو أنّ لابن آدم واديين لأبتغى ثالثاً .

(١٨٠) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .

الفصل الرابع

الشيعة والسنّة النبوية المطهرة

موقف الشيعة من السنة النبوية :

إنّ مما يُفترى به على الشيعة من قِبَلِ بعض الحمقى أنّهـم ينكرون سنة المصطفى (ص) ، وهذا هراء ما بعدَه هراء ، وننقل آراء بعض من علماء السنّة في موقف الشيعة من السنّة النبوية المطهرة . يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتـابه « الإمـام الصادق » : « السنـة المتواتـرة حجة عنـدهم بـلا خـلاف في حجّيتها ، والتواتر عندهم يـوجب العلم القطعي . . . إنّ إنكـار حجّية السنـة النبوية المأثورة بالتواتر عن الرسول (ص) كفر لأنـه إنكار للرسالة المحمدية ، أمّا إنكار حجّية أقوال الأمة فإنها دون ذلك تعـد فسقاً ولا تعـد كفراً »[181] . ويقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » : « . . . ومن هؤلاء الأفّاكين من روّج أنّ الشيعة أتباع علي ، وأنّ السنيين أتباع محمد ، وأن الشيعة يرون أن علياً أحق بالرسالة أو أنها اخطأته إلى غيره ، وهذا لغو قبيح وتزوير شائن » ثم يقول : « إن الشيعة يؤمنون برسالة

---

(١٨١) كتاب « الإمام الصادق » لمحمد أبو زهرة .

محمد ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرّسول وفي استمساكه بسنته ، وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين . . . فكيف يُنسب لهم هذا الهذر »[١٨٢] .

وكتب الحديث الرئيسية عند الشيعة أربعة هي :

١ ـ الكافي .
٢ ـ من لا يحضره الفقيه .
٣ ـ الاستبصار .
٤ ـ التّهذيب .

وجميع الروايات في هذه الكتب خاضعة للتحقيق ، ففيها الغث والسمين من الحديث والشيعة لا يرون جميع الروايات المخرجة في تلك الكتب صحيحه كما هو الحال عند الشيخين البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وليس عند الشيعة كتاب يوضع قِبالة كتاب الله في الصحة ، ولا يتم العمل بأي من تلك الروايات إلّا بعد تحقيقها ، وهذه مهمة العلماء المجتهدين في كل عصر ، وتحقيق الرواية يكون بعرضها على كتاب الله أولاً ، ثم النظر في متنها وسندها ومقارنتها بروايات أخرى ثبتت بالتواتر القطعي وأخيراً عرضها على العقل ، وأي رواية ينقصها أحد هذه الشروط ، فإنّ الأخذ بها يكون محلّ نظر وتأمّل .

وفي كتاب « مصادر الحديث عند الشيعة الإمامية » للعلامة المحقق السيد محمد حسين الجلالي ، تقسيم لأحاديث الكافي ، حيث يقول : « مجموع الأحاديث التي فيه ١٦,١٢١ حديثاً ، منها ٩,٤٨٥ حديث ضعيف، و ١١٤ حديث حسن و ١١١٨ حديث موثق ، و ٣٠٢ حديث قوي ، و ٥٧٠٢ حديث صحيح » وهذا يُظهر بوضوح كيف ضعّف علماء الشيعة آلاف الأحاديث في الكافي ، فأين هذه الحقيقة من تشدّق بعض الأفّاكين مثل ظهير ، والخطيب القائلين بأنّ كتاب الكافي هو كصحيح البخاري عند السنّة ثم يدّعون أن اسمه « صحيح الكافي » وهذا كذب صارخ يكرّرونه كثيراً في كتبهم المسمومة بهدف

---

(١٨٢) كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » .

تضليل القارىء بإضفاء صفة الصحة على روايات ضعيفة اقتبسوها من الكافي أو غيره من كتب الحديث عند الشيعة لإقامة الحجة عليهم وإدانتهم بها .

وهم لا يرفضون جميع روايات صحيحي البخاري ومسلم كما يدّعي البعض ، ولكن لهم شروطهم الخاصة في قبول الرواية ـ كما مر ـ ، وذلك من حرصهم على صدق النقل والتثبت ، وهناك الكثير من الأحاديث المشتركة بينهم وبين أهل السنّة مما رُوي في الصحيحين وغيرهما ، حيث المتن واحد بالرغم من وصول الحديث بسند مختلف ، فالخلاف ليس على السنة أو حجيتها ، بل على ثبوتها أو عدمه .

درء الشبهات حول عصمة النبي (ص) :

إنّ الشيعة يقدّسون سنّة النبي (ص) ويرون كفر من ينكر حكماً أمر به النبي (ص) ، ويرون في شخص النبي (ص) أنه أفضل الأولين والآخرين ، وهم إذ يرون ضرورة التمسك بالأئمة الإثني عشر من أهل البيت (ع)، فلأنهم أوثق الطرق نقلا لسنة النبي (ص) ، وهم يدرأون الشبهة عن كل ما احيط بمسألة عصمة النبي (ص) ، وينفون ما يعتقده غيرهم من المسلمين في جواز سهو النبي (ص) وخطئه ونسيانه للقرآن ووقوعه تحت تأثير السحر فلا يدري أفَعلَ الشيء أم لم يفعله ، وغير ذلك من الافتراءات كما سترى ذلك في الروايات البخارية التالية التي نبدأها بما رووه من أنّ النبي (ص) لم يكن يعلم بأن ما أنزل عليه في غار حراء كان النبوّة لولا ورقة بن نوفل «النصراني» الذي أعلمه بذلك :

حتى دَخَلَ عَلى خَدِيجَةَ فَقَالَ : زَمِّلُوني زَمِّلُوني . فَزَمَّلوهُ حتى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقالَ : يا خَدِيجَةُ ، مالي ؟

ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةَ حتى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ قُصَيّ . وَهْوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا ، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ . وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العَرَبِيَّ ، فَيَكْتُبُ بِالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنجيل ما

شَاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ وكانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ ، فَقالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : أي ابْنَ عَمِّ ، اسمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ ، فَقالَ وَرَقَةُ : ابْنَ أخِي . ماذا تَرَى ؟ فَأخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ما رَأى فَقالَ وَرَقَةُ : هَذا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلى مُوسَى ، يا لَيْتَنِي فِيها جَذَعاً أكونُ حَيّاً حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ : أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟(١٨٣) .

وتستمر الرواية بأغرب من ذلك ، فعندما يتوفّى ورقة بن نوفل ، يحاول الرسول (ص) الإنتحـار بسبب حزنه لإنقطاع الوحي عنه فترة لولا جبريل (ع) الذي كان يطمئنه هذه المرة بعد أن كان ورقة بن نوفل يفعل ذلك :

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حتى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ما بَلَغَنا حُزْناً غَدا مِنْهُ مِراراً كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ فَكُلَّما أوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبرِيلُ فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ ، إنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً فَيَسْكُنُ لذلك جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ ، فَإذا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غدا لِمِثْلِ ذلك . فَإذا أوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبرِيلُ فَقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ(١٨٤)

ويروون أيضاً أن الرسـول (ص) لم يكن حافظاً لجميع القرآن المنزل عليه وكذلك سهوه عن أداء صلاة العصر في وقتها :

سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَقرَأُ فِي المَسْجِدِ فَقالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أذكَرَنِي كذا وَكذا آيَةً أسقَطتُها في سُورَةِ كذا وكذا(١٨٥) .

أبا سَلَمَةَ يَقُولُ : أخبَرَنا جابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءَهُ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ يَوْمَ الخَنْدَقِ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ ما كِدْتُ أنْ أُصَلِّي حتَّى كادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ وَذَلِكَ بَعْدَما أفْطَرَ الصَّائِمُ . فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَاللَّهِ

---

(١٨٣) صحيح البخاري ص ٩٢ ج ٩ كتاب التعبير .

(١٨٤) صحيح البخاري ص ٩٣ ج ٩ كتاب التعبير .

(١٨٥) صحيح البخاري ص ٢٣٤ ج ٨ كتاب الدعوات .

ما صَلَّيْتُها ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ إلى بُطْحانَ ، وأنا مَعَهُ فَتَوَضَّأ ثُمَّ صَلَّى العَصْرَ بَعْدَما غَرَبَت الشَّمْسُ ، ثُمَّ صلى بَعْدَها المَغْرِبَ(١٨٦) .

ومن ثم تقدمه لإمامتهم في الصلاة وهو جنب ، وصلاته للظهر ركعتين :

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ : أُقِيمَتِ الصَّلاةُ وعُدِّلَتِ الصُّفُوفُ قِياماً فَخَرَجَ إلَيْنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا قامَ في مُصَلاَّهُ ذَكَرَ أنَّهُ جُنُبٌ ، فَقالَ لَنا : مَكانَكُمْ ، ثُمَّ رَجَعَ فاغْتَسَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ إلَيْنا وَرَأسُهُ يَقْطُرُ ، فَكَبَّرَ فَصَلَّيْنا مَعَهُ(١٨٧) .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ : صَلَّى بِنا النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قامَ إلى خَشَبَةٍ في مُقَدَّمِ المَسْجِدِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْها وفي القَوْمِ يَوْمَئِذٍ أبو بَكْرٍ وعُمَرُ فَهابا أنْ يُكَلِّماهُ ، وخَرَجَ سَرَعانُ النَّاسِ فَقالُوا : قَصُرَتِ الصَّلاةُ ؟ وفي القَوْمِ رَجُلٌ كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوه ذَا اليَدَيْنِ ، فَقالَ : يا نَبِيَّ اللَّهِ ، أنَسِيتَ أمْ قَصُرَتْ ؟ فَقالَ : لَمْ أنْسَ ولَمْ تَقْصُرْ ، قالُوا : بَلْ نَسِيتَ يا رَسُولَ اللَّهِ ، قالَ : صَدَقَ ذُو اليَدَيْنِ فَقامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أوْ أطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وكَبَّرَ ثُمَّ وَضَعَ مِثْلَ سَجُودِهِ أوْ أطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وكَبَّرَ(١٨٨) .

ومن ثم يصل الأمر إلى أن يتمكّن أحد اليهود من أن يسحر النبي (ص) ، حتى يتهيأ للنبي (ص) أنه فعل الشيء وما فعله ، وسؤاله لعائشة أنزل الوحي عليه أم لم ينزل . وهل أتى أهله أم لا ؟

يا عائِشَةُ ، إنَّ اللَّهَ تَعالى أفْتاني في أمْرٍ اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ : أتانِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أحَدُهُما عِنْدَ رِجلِيَّ والآخَرُ عِنْدَ رأسِي ، فَقالَ الَّذي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذي عِنْدَ رأسِي : ما بالُ الرَّجُلِ ؟ قالَ : مَطْبُوبٌ ، يَعْني مَسْحُوراً .

---

(١٨٦) صحيح البخاري ص ٣٤٩ ج ١ كتاب الأذان .

(١٨٧) صحيح البخاري ص ١٦٨ ج ١ كتاب الغسل .

(١٨٨) صحيح البخاري ص ٤٨ ج ٨ كتاب الأدب .

قالَ : ومَنْ طَبَّهُ ؟ قالَ : لَبِيدُ بنُ أعْصَمَ(١٨٩) .

عَنْ عائِشَةَ قالَتْ : سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حتَّى إنَّهُ لَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَما فَعَلَهُ حتَّى إذَا كانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدي دَعا اللَّهَ وَدَعاهُ ثُمَّ قالَ : أشَعَرْت يا عائِشَةُ أنَّ اللَّهَ قَدْ أفْتاني فِيما اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ(١٩٠) ؟

مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ كَذَا وكَذَا ، يُخَيَّلُ إلَيْهِ أنهُ يأتي أهْلَهُ وَلا يأتي(١٩١) .

وقد رفض الشيخ محمد عبده هذه الروايات التي تقول بوقوع الرسول (ص) تحت تأثير السحر لأنها تعارض قوله تعالى : ﴿ **وقال الظالمون أن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً** ﴾(١٩٢) .

وعن علاقة الرسول (ص) بنسائه فإنهم يروون ما يلي :

حدَّثَنا أبُو أُسامَةَ ، عَنْ هِشامٍ ، عَنْ أبِيهِ : أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا كانَ في مَرَضِهِ جَعَلَ يَدُورُ في نِسائِهِ ويَقُولُ : أيْنَ أنا غَداً ؟ أيْنَ أنا غداً ؟ حِرْصاً عَلى بَيْتِ عائِشَةَ . قالَتْ عائِشَةُ : فَلَمَّا كانَ يَوْمي سَكَنَ(١٩٣) .

الزّهْرِيّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالَتْ : كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا أرادَ سَفَراً أقْرَعَ بينَ نِسائِهِ ، فأيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُها خَرَجَ بِها مَعَهُ . وكانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ إمْرَأةٍ مِنْهُنّ يَوْمَها ولَيْلَتَها ، غَيرَ أنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَها ولَيْلَتَها لِعائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيّ ﷺ تَبْتَغِي بِذَلكَ رِضا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ(١٩٤) .

وانظر التناقض بين الروايتين أعلاه مع الروايتين أدناه :

---

(١٨٩) صحيح البخاري ص ٥٧ ج ٨ كتاب الأدب .
(١٩٠) صحيح البخاري ص ٤٤٤ ج ٧ كتاب الطب .
(١٩١) صحيح البخاري ص ٥٦ ج ٨ كتاب الأدب .
(١٩٢) الفرقان : ٢٥ .
(١٩٣) صحيح البخاري ص ٧٧ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة
(١٩٤) صحيح البخاري ص ٤٦٢ ج ٣ كتاب الهبة .

قالَ : كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلى نِسائِهِ في السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قالَ : قُلْتُ لأنسٍ أَوَ كانَ يُطِيقُهُ ؟ قالَ : كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَةَ ثَلاثِينَ[١٩٥] .

أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَطُوفُ عَلى نِسائِهِ في لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ[١٩٦] .

واعتماداً على الروايات السابقة وأمثالها أخذ بعض المسلمين اعتقادهم بجواز خطأ النبي (ص) وسهوه وغير ذلك ، وهكذا فإنّ الرسول (ص) بنظرهم معصوم في الأمور الدينية أو التبليغية فقط ، أما في ما عدا ذلك فهو كسائر البشر يخطىء ويصيب ، ولا أدري من أين جاء هذا التصنيف؟ إنَّ أمْرَ الله تعالى لنا باتّباع الرسول (ص) مطلقاً بلا أي قيد أو شرط ، بقوله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى** ﴾[١٩٧] وكذلك قوله : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فأنتهوا** ﴾[١٩٨] يدلّ على مطلق الأمر بدون تخصيص ولا قيد ، وإذا جاز أن يخطىء النبي (ص) ، فإنّ الله تعالى يكون قد أمرنا بخطأ وهذا ما نستعيذ بالله أن نقول بمثله ، وبذلك فإنّ أمر الله تعالى لنا باتّباع الرسول (ص) مطلقاً بدون قيد أو شرط يعني أن الرسول (ص) مطلق الصحة في جميع أقواله وأفعاله وإقراراته . فمن أين جاء ذلك التحديد الذي يدّعونه في عصمة النبي (ص) ؟ وهل عدم معرفة الرسول (ص) بماهية الوحي الذي أُنزل عليه في غار حراء أمر دنيوي ؟ وهل نسيانه للقرآن أمر دنيوي ؟ وهل سحر بعضهم للنبي (ص) أمر دنيوي ؟

إنّ اعتقادنا بمطلق عصمة النبي (ص) هو مرتكزنا في نفي الروايات السابقة لأنها مما ينفي عصمته (ص) . فالعصمة هي التنزّه عن الذنوب

---

(١٩٥) صحيح البخاري ص ١٦٥ ج ١ كتاب الغسل .

(١٩٦) صحيح البخاري ص ٥ ج ٧ كتاب النكاح .

(١٩٧) النجم : ٣ .

(١٩٨) الحشر : ٧ .

والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان . وبالإضافة إلى عصمة النبي (ص) بعد البعثة ، فإنّه لا بد أن يكون أميناً صادقاً ومنّزهاً عن الرذائل صغيرها وكبيرها قبل بعثته أيضاً كي تطمئن إليه القلوب ، وتركن إليه النفوس وبذلك يكون مستحقاً لهذا المكان الإلهي الرفيع .

وإنّ تسرب الروايات التي تمسّ بعصمة النبي (ص) بالإضافة إلى أنّها من وضع الوضّاعين حين تُتخذ مطاعن على دين الإسلام ، يحتمل أن تكون هناك أسباب أخرى لوضعها ، منها ما يصلح لأن يكون مؤيداً لموقف بعض الصحابة عندما قالوا في الرسول (ص) إنّه يهجر - وهو في مرضه الأخير - عندما طلب منهم أن يأتوه بكتاب يكتبه لهم حتى لا يضلّوا بعده أبداً - راجع ما كتبناه بشأن رزية يوم الخميس في الفصل الأول - ، فلا غرابة بعد ذلك من وجود بعض الروايات التي تجعل من أحد الصحابة يصيب في بعض المسائل التي أخطأ فيها النبي (ص) - والعياذ بالله .

من هذه الروايات ما نُسب بشأن نزول آية الحجاب بعد تنبيه عمر بن الخطاب لرسول الله (ص) بضرورة تحجّب نسائه :

عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أنَسٍ قالَ : قالَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُلْت : يا رَسُولَ اللَّهِ ، يَدْخُل عَلَيْكَ البرُّ والفاجرُ ، فَلَو أمرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنينَ بالحِجابِ ، فأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحِجابِ(١٩٩) .

قالَتْ كانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : احْجُبْ نِساءَكَ . قالَتْ : فَلَمْ يَفْعَلْ . وكانَ أزْواجُ النَّبيِّ ﷺ يَخْرُجْنَ لَيْلاً إلى لَيْلٍ قِبَلَ المَناصعِ فَخَرجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ وكانَتِ امْرَأةً طَويلةً فَرآها عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وهُوَ في المجْلِسِ فقالَ عَرَفْناكِ يا سَوْدَةُ ، حِرْصاً على أنْ يُنْزَلَ الحِجابُ قالَتْ : فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ آيةَ الحِجَابِ(٢٠٠) .

وأيضاً ما نُسب بشأن آية النهي عن الصلاة على المنافقين بأنها نزلت

---

(١٩٩) صحيح البخاري ص ٢٩٦ ج ٦ كتاب التفسير .

(٢٠٠) صحيح البخاري ص ١٧٠ ج ٨ كتاب الإستئذان .

مؤيدة لموقف عمر بعد أن أصرّ الرسول (ص) على الصلاة على (ابن أبيّ) المنافق . وعدم سماعه لاعتراض عمر على ذلك كما يروون :

قالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُاللَّهِ بنُ أُبَيِّ جاءَ ابْنُهُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أعْطِني قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ . فأعْطاهُ قَمِيصَهُ وَقالَ لَهُ : إذا فَرَغْتَ مِنْهُ فآذِنّا ، فَلَمَّا فَرَغَ آذَنَهُ بِهِ فَجاءَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْه فجَذَبَهُ عُمَرَ فَقالَ : ألَيْسَ قَدْ نَهاكَ اللَّهُ أنْ تُصَلِّيَ عَلى المُنافِقِينَ ؟ فَقالَ ـ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ـ فَنَزَلَتْ ـ وَلا تُصَلِّ عَلى أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ ـ فَتَرَكَ الصلاةَ عَلَيْهِمْ(٢٠١) .

عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـه أنَّهُ قالَ : لَمَّا ماتَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ دُعِيَ لَـهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْـهِ . فَلَمَّا قـام رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إلَيْهِ فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللَّهِ أتُصَلِّي عَلى ابنِ أُبِي ؟ وقَدْ قالَ يَوْمَ كَذا وكَذا ، كَذا وكَذا ، أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقالَ : أخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ ، فَلَمَّا أكْثَرْتُ عَلَيْهِ قالَ : إني خُيِّرْتُ(٢٠٢) فاخْتَرْتُ لَـوْ أعْلَمُ أني لَوْ زِدْتُ عَلى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْها . قالَ : فَصلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصرَفَ فَلَمْ يَمْكُثْ إلاَّ يَسِيـراً حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتـانِ مِنْ بَـراءَةَ ـ **﴿ وَلا تُصَـلِّ عَلى أحَـدٍ مِنْهُمْ مـاتَ أبَـداً ﴾** ـ إلى ـ **﴿ وهُمْ فاسِقُونَ ﴾** ـ قالَ : فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتي عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

والحقيقة في تلك الحادثـة أنّ الرسـول (ص) قد خُيِّـر بالصلاة على المنافقين والاستغفار بقـوله تعـالى : **﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾**(٢٠٣) وقد اختار الرسـول (ص) الصلاة على ذلك المنافق لما في ذلك من فائـدة عظيمـة ومصلحة متوخاة ،

---

(٢٠١) صحيح البخاري ص ٤٦٢ ج ٧ كتاب اللباس .

(٢٠٢) صحيح البخاري ص ٢٥٢ ج ٢ كتاب الجنائز .

(٢٠٣) التوبة : ٨٠ .

واستئلافاً لقومه الخزرج ، وقد أسلم بذلك منهم ألف رجل ، وقد كانت صلاته (ص) على ذلك المنافق قبل نزول النهي عن ذلك ، فآية ﴿ **استغفر لهم أولاً تستغفر . . .** ﴾ لا تدل على النهي الذي فهمه عمر واعترض على الرسول (ص) وخطّأه بسببه ، ونزول آية النهي عن الصلاة على المنافقين لا تدلُّ قط على خطأ الرسول (ص) في صلاته على عبد الله بن أُبيّ ـ والعياذ بالله ـ كما فهمه البعض ، فصلاته (ص) على المنافق تكون خطأ لو فعلها بعد نزول آية النهي وليس قبل . ولا يستفاد من هذه الرواية إلاّ خطأ عمر وشدة اعتراضه على الرسول (ص) ، وكما اعترف عمر بذلك ، وندم على تسرّعه حيث يُروى عنه أنه قال : « أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط ، أراد رسول الله (ص) أن يصلّي على عبد الله بن أُبيّ فأخذت بثوبه فقلت له : والله ما أمرك الله بهذا ، لقد قال الله لك ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم . . .** ﴾ الآية (قال) فقال رسول الله (ص) : خيّرني ربي فقال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم . . .** ﴾ فاخترت »(٢٠٤) .

وقبل ذلك ما يُروى بشأن أخذ الفداء من الأسرى يوم بدر وأنّ الآية ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾(٢٠٥) نزلت عتاباً للرسول (ص) ـ كما يدّعون ـ بسبب أخذه الفداء من أسرى بدر وعدم قتله لهم في نفس الوقت الذي كان فيه عمر بن الخطّاب يريد قتلهم جميعاً ، فنزلت الآية مؤيدة لرأي عمر ، ورووا ما يؤيد رأيهم قولاً وضعوه من عندهم ونسبوه إلى الرسول (ص) بشأن معنى الآية السابقة الذي يتضمّن تهديداً بالعذاب الشديد . ولكن لمن ذلك التهديد ؟ فكما يروون وينسبون إلى الرسول (ص) إنه قال عندما كان يبكي مع أبي بكر: « إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطّاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب ما أفلت منه الاّ ابن الخطاب » .

---

(٢٠٤) كنز العمال حديث رقم : ٤٤٠٤ .

(٢٠٥) الأنفال : ٦٧ .

وحقيقة هذه الحادثة أنّ الآية السابقة نزلت قبل معركة بدر وتنديداً بالصّحابة الّذين فضّلوا العير وما تحمله قافلة أبي سفيان على القتال عندما استشارهم الرسول (ص) في ذلك ليرى مدى استعدادهم لقتال المشركين ، فالنهي في الآية ليس في مطلق أخذ النبي (ص) لأسرى وإنما النهي في أخذ الأسرى دون قتال المشركين كما كان يريد بعض الصّحابة عندما استشارهم الرسول (ص) في أخذ القافلة منهم أو قتالهم قبل بدر. وكيف يُعقل أنه تكون تلك الآية ـ التي تهدد الذين لا يريدون اثخاناً في الأرض أي القتال ـ قد نزلت تنديداً بالرسول (ص) وقد أثْخن في المشركين وقتّلهم شرّ قتلة !! فقد قُتل في تلك الموقعة سبعون من صناديد قريش .

أبو هريرة وكثرة روايته للحديث

أجمع رجال الحديث على أنّ أبا هريرة كان أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله (ص) على حين أنه لم يصاحب النبي (ص) إلاّ عاماً وتسعة أشهر ـ أو ثلاثة أعوام على أبعد الروايات ـ وقد أحتوت صحاح أهل السنّة له ٥٣٧٤ حديثاً روى منها البخاري ٤٤٦ حديثاً .

أما أبو هريرة نفسه فيقول إنّ عبد الله بن عمرو كان أكثر منه رواية للحديث إلاّ أن ابن عمرو كان يكتب وهو لا يكتب :

سَمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : ما مِنَ أصْحاب النَّبِيِّ ﷺ أحَد أكثرَ حَديثاً عَنْهُ مِنِّي إلا ما كانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عمْرٍو ، فإنَّهُ كانَ يَكْتُبُ ولا أكْتُبُ ، تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ (٢٠٦) .

إلاّ أن كل ما رواه ابن عمر ٧٢٢ حديث ، لم يخرج البخاري منها سوى سبعة أحاديث ومسلم ٢٠ حديثاً .

وقد بيّن أبو هريرة نفسه سبب كثرة صحبته للرسول (ص) :

شِهاب ، عَنِ الأعْرَجِ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَقُولُونَ

---

(٢٠٦) صحيح البخاري ص ٨٦ ج ١ كتاب العلم .

إنَّ أبا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ واللَّهِ المَوْعِدُ ، ويَقُولُونَ ما للْمُهاجِرِينَ والأنْصَارِ لا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أحادِيثِهِ ؟ وإنَّ إخْوَتِي مِنَ المُهاجِرِينَ كانَ يَشْغَلُهُمْ الصَّفْقُ بالأسْوَاقِ ، وإنَّ إخْوَتِي مِنَ الأنْصَارِ كانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أمْوَالِهِمْ ، وكُنْتُ امْرءاً مِسْكِيناً ألْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ على مِلْءِ بَطْنِي . فأحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ ، وأعِي حِينَ يَنْسَوْنَ(٢٠٧) .

وفي ما يلي تأكيد للرواية أعلاه واعتراف من أبي هريرة بسبب استقرائه القرآن لبعض الصحابة :

عَنْ سَعِيدٍ المَقْبِرِيِّ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ النَّاس كانُوا يَقُولُونَ أكْثَرَ أبُو هُرَيْرَةَ وإنِّي كُنْتُ ألْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي حتَّى لا آكُلُ الخَمِيرَ ، ولا ألْبَسُ الحَبِيرَ ولا يَخْدُمُنِي فُلانٌ ولا فُلانَةُ وكُنْتُ ألْصِقُ بَطْنِي بالحَصْباءِ منَ الجُوعِ وإنْ كُنْتُ لأسْتَقْرِىءُ الرَّجُل الآيَةَ هِيَ مَعِي كَيْ يَنْقَلِبَ بي فَيُطْعِمَنِي . وكانَ أخْيَرَ النَّاسِ للمَساكِينِ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِب ، كانَ يَنْقَلِبُ بِنا فَيُطْعِمُنا ما كانَ في بَيْتِهِ حتَّى إنْ كانَ لَيُخْرِجُ إلَيْنا العُكَّةَ التي لَيْسَ فِيها شَيْءٌ فَنَشقّها فَنَلْعَقُ ما فِيها(٢٠٨) .

وعن حبّه لجعفر بن أبي طالب الذي تبيّنه الرواية أعلاه ، فقد رُوي عن أبي هريرة أنه قال : « ما أحتذى بالنعال ولا ركب المطايا ، ولا وطىء التراب ، بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبي طالب »(٢٠٩) .

وقد روى مسلم في صحيحه أنّ عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة لمّا سمعه يحدث عن رسول الله (ص) : « من قال لا إلٰه إلّا الله دخل الجنّة »(٢١٠) ، وروى ابن عبد البر عن أبي هريرة نفسه قال : لقد حدثتكم

(٢٠٧) صحيح البخاري ص ٣١٣ ج ٣ كتاب المزارعة .
(٢٠٨) صحيح البخاري ص ٤٧ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .
(٢٠٩) أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد صحيح .
(٢١٠) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٤١ الطبعة السادسة .

بأحاديث لو حدّثت بها زمن عمر بن الخطّاب لضربني عُمَر بالدرة »[٢١١] !
وتأكيداً لذلك ما قاله الفقيه المحدث رشيد رضا : « لو طال عُمْر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة »[٢١٢] ويقول مصطفى صادق الرافعي : فكان بذلك ـ يعني أبو هريرة ـ أول راوِيَة أُتُّهِمَ في الإسلام[٢١٣] ؟ !

وعند حدوث معركة صفّين بين عليّ ومعاوية ، انحاز أبو هريرة إلى معاوية ، وقد كُوفِئ على حسنِ روايته للحديث ومناصرته لبني أميَّة بأن أغدقوا عليه فكان مروان بن الحكم ينيبه عنه على ولاية المدينة ، فتحوّلت أحواله من حال إلى حال :

قالَ : كنَّا عِنْدَ أبي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبانِ مُمَشَّقانِ مِنْ كَتَّان ، فَتَمَخَّطَ فَقَالَ : بَخْ بَخْ ، أبو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ في الكَتَّانِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُني وإنِّي لأخِر فيما بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى حُجْرَةِ عائِشَةَ مَغْشِياً عَلَيَّ ، فَيَجِيءُ الجائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلى عُنُقي ويُرَى أنِّي مَجْنون وما بي جُنونٌ ، ما بي إلاَّ الجوعُ[٢١٤] .

وكان من نتائج تحزبه لبني أمية كتمانه لبعض الأحاديث التي كان يسمعها من رسول الله (ص) ، وخوفه على نفسه من القتل في حال روايته لها :

عَنِ أبي هُرَيْرَةَ ، قالَ : حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعاءَيْنِ ، فأمَّا أحَدُهُما فَبَثَثْتُهُ ، وأمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هذا البُلْعُومُ[٢١٥] .

وهذا الاعتراف يتناقض مع قول آخر له بأنه لم يكن يكتم حديثاً لخوفه من الله :

عَنِ الأعْرَجِ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ : إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أكْثَرَ أبو

(٢١١) نفس المصدر السابق .
(٢١٢) مجلة المنار ج ١٠ ، ص ٨٥١
(٢١٣) تاريخ آداب العرب ج ١ ، ص ٢٧٨ .
(٢١٤) صحيح البخاري ص ٣١٧ ج ٩ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنّة .
(٢١٥) صحيح البخاري ص ٨٩ ج ١ كتاب العلم .

هُرَيْرَةَ ولَوْلاَ آيَتَانِ في كِتَابِ اللَّهِ ما حَدَّثْتُ حَدِيثاً ثُمَّ يَتْلُو - إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ - إلى قوله : الرَّحِيمُ[٢١٦] .

وتمام الآيتين الكريمتين في الرواية السابقة اللتين لا يكتم أبو هريرة حديثاً بسببهما : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعدما بيّنّاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** ﴾[٢١٧] .

بعد سرد أمثال هذه الروايات التي تبيّن حقيقة أبي هريرة ودرجة عدالته وأمانته في رواية الحديث ، يتّضح السبب في إعراض الشيعة عن رواياته ، الأمر الذي جعل بعض الناس يطعن في الشيعة بسببه ، وما ذاك إلاّ مغالاة لا نرى لها مبرراً مقبولاً وخصوصاً مع وجود كل تلك البراهين التي تثبت صحة ما ذهبنا إليه . ففي اختصار علوم الحديث ، قال ابن حنبل وأبو بكر الحميدي وأبو بكر الصيرفي : لا نقبل رواية من كذب في أحاديث رسول الله وإن تاب عن الكذب بعد ذلك[٢١٨] ، وقال السمعاني : من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدّم من حديثه[٢١٩] .

ونعرض في ما يلي بعضاً من روايات أبي هريرة التي أخرجها البخاري في صحيحه : نبدأها بفقوء موسى (ع) لعين ملك الموت :

ابنِ طاوسٍ ، عَنْ أبيهِ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسَى عَلَيْهِما السَّلامُ فَلَمَّا جاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ فَقالَ : أَرْسَلْتَنِي إلى عَبْدٍ لا يُرِيدُ المَوْتَ . فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقالَ : ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلى مَتْنِ ثَوْرٍ ، فَلَهُ بِكُلِّ ما غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ . قالَ : أَيْ رَبِّ ، ثُمَّ ماذَا ؟ قالَ : ثُمَّ المَوْتُ . قالَ : فالآنَ ، فَسَألَ اللَّهَ أَنْ

---

(٢١٦) صحيح البخاري ص ٨٨ ج ١ كتاب العلم .

(٢١٧) البقرة : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢١٨) اختصار علوم الحديث ص ١١١ .

(٢١٩) التقريب للنووي ص ١٤ .

يُدْنيهُ مِنَ الأرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً حَجَرٍ[٢٢٠] .

عَنْ مُحَمّدٍ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ ـ : يُقَالُ لِجَهَنَمَ هَلِ امْتَلأْتِ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبارَكَ وَتَعالى قَدَمَهُ عَلَيْها فتَقولُ : قَطْ قَطْ ؛ أي كفى[٢٢١] .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ ﷺ : كلُّ بَني آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطانُ في جَنْبَيْهِ بِإصْبَعيَهْ حِينَ يُولَدُ ، غَيْرَ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ ، فَطَعَنَ في الحِجابِ[٢٢٢] .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : خَلَقَ اللَّهُ آدمَ عَلى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً[٢٢٣] .

عَنْ عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : مَنْ قالَ أنا خيرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ[٢٢٤] .

عَنْ سَلَمَةَ ، وَأبي عَبْدِ اللَّهِ الأغَرِّ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُوني فَأسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأغْفِرَ لَهُ[٢٢٥] ؟ .

والرواية الأخيرة هذه تستحق منا وقفة عندها ، فالذين يروونها ويعتقدون بصحتها ، يعتقدون كذلك بأن الله مستقر مكانياً على العرش ، وأن نزوله هذا ـ على زعمهم ـ يكون في آخر الليل فقط ، ولكن علمنا بكروية الأرض

---

(٢٢٠) صحيح البخاري ص ٢٣٦ ج ٢ كتاب الجنائز .
(٢٢١) صحيح البخاري ص ٣٥٣ ج ٦ كتاب التفسير .
(٢٢٢) صحيح البخاري ص ٣٢٤ ج ٤ كتاب بدء الخلق .
(٢٢٣) صحيح البخاري ص ١٦٠ ج ٨ كتاب الإستئذان .
(٢٢٤) صحيح البخاري ص ٣١١ ج ٦ كتاب التفسير .
(٢٢٥) صحيح البخاري ص ١٣٦ ج ٢ كتاب التهجد .

ودورانها ، يجعل الليل موجوداً عليها كل لحظة ومدة وجودها ووجود الإنسان عليها ، وهذا يعني أنّه تعالى سيبقى دائماً في السماء الدنيا ، ولا نعتقد بوجود تناقض بين حقائق العلم والحقائق الإلهية ، فضلاً عن تناقض ذلك مع اعتقادهم باستقراره تعالى على العرش ، تعالى الله علّواً كبيراً عما يصفون : فالله نور السماوات والأرض لا يحدّه مكان ولا زمانَ ، ولو كان محمولاً على عرشٍ للزم أن يكون الحامل أقوى من المحمول ـ كما رُوي عن جعفر الصادق (ع) ـ ولماذا ينزل ويصعد وهو أقرب إلينا من حبل الوريد .

والأحاديث السابقة من الإسرائيليات التي أكثر أبو هريرة من روايتها وذلك لكثرة ملازمته لكعب الأحبار اليهودي الذي تظاهر باعتناقه الإسلام . وإضافة لتلك الروايات :

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : لا يَمْشِي أَحَدُكُمْ في نَعْلٍ وَاحِدَةٍ ، لِيَنْعِلْهُما جميعاً ، أوْ لِيُحْفِهِما جميعاً(٢٢٦) .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِها ، وَأريدُ أنْ أخْتَبِىءَ دَعْوَتي شَفاعَةً لأُمَّتِي في الآخِرَةِ(٢٢٧) .

عن سَلَمَةَ : أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيّاً مِنَ الأنْبِياءِ ، فأمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فأُحْرِقَتْ . فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ ، أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ اللَّهَ(٢٢٨) ؟

عَنِ الأعرج ، عَن أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : إذَا تَوَضأ أحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ في أنْفِهِ ماءً ثمَّ لِيَنْتَثِرْ ، وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ ، وإذَا اسْتَيْقَظَ أحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أنْ يُدْخِلَها في وَضُوئِهِ فإنَّ أحَدَكُمْ

---

(٢٢٦) صحيح البخاري ص ٤٩٦ ج ٧ كتاب اللباس .
(٢٢٧) صحيح البخاري ص ٢١١ ج ٨ كتاب الدعوات .
(٢٢٨) صحيح البخاري ص ١٦٣ ج ٤ كتاب الجهاد .

لا يَدْرِي أَيْنَ باتَتْ يَدُهُ[٢٢٩] .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ لا يُدْرَى ما فَعَلَتْ، وإِنِّي لا أَرَاها إِلاَّ الفَأرَ إِذَا وُضِعَ لهَا أَلبانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ ، وإِذَا وُضِعَ لهَا أَلْبانُ الشَّاةِ شَرِبَتْ[٢٣٠] .

أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بَيْنا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ قالَ: بَيْنا أنا نائِمٌ رَأَيْتُنِي في الجَنَّةِ فإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذا القَصْرُ ؟ فَقالُوا : لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً . فَبَكَى عُمَرُ وقالَ : أَعَلَيْكَ أَغارُ يا رَسُولَ اللَّهِ[٢٣١] ؟

عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَوْماً يُحَدِّثُ وعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ : أنَّ رَجُلاً منْ أهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ في الزَّرْعِ فقالَ لَهُ : أَلَسْتَ فيما شِئْتَ ؟ قالَ : بلَى ولَكِنِّي أُحِبُّ أنْ أَزْرَعَ . قالَ : فَبَذَرَ فَبادَرَ الطَّرْفَ نَباتهُ واسْتِوَاؤُهُ واسْتِحْصَادُهُ فَكانَ أَمْثالَ الجِبالِ ، فيَقُولُ اللَّهُ تَعالَى ، دَونَكَ يا ابن آدمَ فإِنَّهُ لا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ . فَقالَ الأعْرَابِيُّ : واللَّهِ لا نجدُهُ إلاَّ قُرَشيّاً أَوْ أَنْصَارِياً فإِنَّهُمْ أصْحابُ زَرْعٍ ، وأمَّا نَحْنُ فَلَسْنا بأصْحابِ زَرْعٍ ، فَضَحكَ النَّبِيُّ ﷺ[٢٣٢] .

عنِ الأعرجِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : يَضْحَكُ اللَّهُ إلى رَجُلَيْنِ : يَقْتُلُ أحَدُهُما الآخَرَ ، يَدْخُلانِ الجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذا في سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى القاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ[٢٣٣] .

أَنَّهُ سَمِعَ أبَا هُرَيْرَةَ يقُولُ : إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : نَحْنُ

---

(٢٢٩) صحيح البخاري ص ١١٤ ج ١ كتاب الوضوء .

(٢٣٠) صحيح البخاري ص ٣٣٣ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

(٢٣١) صحيح البخاري ص ٣٠٦ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

(٢٣٢) صحيح البخاري ص ٣١٢ ج ٣ كتاب المزارعة .

(٢٣٣) صحيح البخاري ص ٦٠ ج ٤ كتاب الجهاد .

الآخِرُونَ السَّابِقُونَ . وَبِإسْنَادِهِ : لَوِ اطَّلَعَ في بَيْتِكَ أحَدٌ ولَمْ تأذَنْ لَهُ حَذَفْتَهُ بِحَصاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ ما كانَ عَلَيْكَ مِنْ جُناحٍ[234] .

حدَّثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : كانَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُراةً يَنْظُرُ بَعْضُهمْ إلى بَعْضٍ ، وكانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ ، فَقالُوا : واللَّهِ ما يَمْنَعُ مُوسَى أنْ يَغْتَسِلَ مَعنا إلاَّ أنَّهُ آدرُ ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلى حَجَرٍ ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ : فَجَمَعَ مُوسَى في أثَرِهِ يَقُولُ : ثَوْبِي يا حَجَرُ ، ثَوْبي يا حَجَرُ حتَّى نَظَرَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ إلى مُوسَى فَقالُوا : وَاللَّهِ ما بِمُوسَى مِنْ بَأسٍ . وأخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْباً) فَقالَ أبُو هُرَيْرَةَ : وَاللهِ إنَّهُ لَنُدَبٌ بِالحَجَرِ سِتَّةٌ أوْ سَبْعَة ضَرْباً بِالحجرِ[235] .

حدَّثَنَا أبُو اليَمانِ : أخْبَرَنا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قالَ : حدَّثَنِي سَعيدُ بنُ المُسَيَّب : أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هي سَبْعُونَ ألْفاً ، تُضِيءُ وَجُوهُهُمْ إضَاءَةَ القَمَرِ . فَقامَ عُكاشَةُ بنِ مُحْصِنٍ الأسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ ، قالَ : ادْعُ اللَّهَ لي يا رَسُولَ اللَّهِ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ . ثُمَّ قامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لي أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ : سَبَقَكَ عُكاشَةُ[236] .

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : (بَيْنا أيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْياناً فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرادٌ مِن ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أيوبُ يَحْتَثِي في ثَوْبِهِ . فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يا أيُّوبُ ألَمْ أكُنْ أغْنَيْتُكَ عمّا تَرَى ؟ قالَ : بَلى وَعِزَّتِكَ ، ولكِنْ لا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ)[237] .

---

(234) صحيح البخاري ص ١٨ ج ٩ كتاب الديّات .

(235) صحيح البخاري ص ١٦٩ ج ١ كتاب الغسل .

(236) صحيح البخاري ص ٤٧٣ ج ٧ كتاب اللباس .

(237) صحيح البخاري ص ١٧٠ ج ١ كتاب الغسل .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : بَيْنما رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلى بَقَرَةٍ التَفَتَتْ إلَيْهِ فَقالَتْ : لَمْ أُخْلَقْ لِهَذا ، خُلِقْتُ للْحِرَاثَةِ ، قالَ آمَنْتُ بِهِ أنا وأبُو بَكْرٍ وعُمَرُ . وأخَذَ الذِّئْبُ شَاةً فَتَبِعَها الرَّاعِي فَقالَ الذِّئْبُ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ ؟ يَوْمَ لا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي ؟ قالَ : آمَنْتُ بِهِ أنا وأبُو بَكْرٍ وعُمَرُ . قالَ أبُو سَلَمَةَ . وما هُمَا يَوْمَئِذٍ في القَوْمِ [٢٣٨] .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : (إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ أدْبَرَ الشَّيْطانُ لَهُ ضُرَاطٌ حتَّى لا يَسْمَعَ التَّأذِينَ ، فإذَا قَضَى النِّداء أقْبَلَ حتَّى إذَا ثُوِّبَ بالصَّلاةِ أدْبَرَ ، حتَّى إذَا قَضَى التَّثْوِيب أقْبَلَ حتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ ، يَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلى)[٢٣٩] .

وقفة مع البخاري في صحيحه

وبعد عرض الروايات السابقة التي تمسّ بعصمة النبي (ص) ، ومن ثم مرويات أبو هريرة ، أصبح من الضروري إلقاء الضوء على كتاب صحيح البخاري بصفته الذي تضمّن لتلك الروايات وكذلك بصفته أصحّ كتب الحديث عند أهل السنّة والذي يعتبرونه بعد كتاب الله في الصحة ، وهنا يكمن سرّ معارضتهم لكل من يرفض حديثاً مروياً في صحيح البخاري ، فهم يعتقدون جزماً بصحة جميع ما فيه .

وقد أخرج البخاري أحاديثه ـ الصحيحة برأيه ـ من ٦٠٠ ألف حديث ، وكما رُوي عن الشيخ البخاري نفسه إذ قال : « لم أُخرج في هذا الكتاب إلاّ صحيحاً ، وما تركت من الصحيح أكثر »[٢٤٠] .

ومأخذنا الأوّل على الشيخ البخاري هو اعتماده على عدالة سلسلة رواة

---

(٢٣٨) صحيح البخاري ص ٢٩٧ ج ٣ كتاب المزارعة .

(٢٣٩) صحيح البخاري ص ٣٣٦ ج ١ كتاب الأذان .

(٢٤٠) ابن حجر في مقدمة فتح الباري .

الحديث كشرطه الوحيد لإثبات صحة الحديث المروي دون النظر إلى متنه وما احتواه من معنى ، فكان الاضطراب في كثير من الروايات التي من الممكن أن تتخذ مطاعن في الدين . فالراوي حتى لو كان عدلاً ، لا تمنع عدالته من نسيانه جزءاً من الحديث الذي سمعه فضلاً عن احتمال روايته للحديث بالمعنى لا بعين اللفظ الذي سمعه، الأمر الذي يفقد الحديث جزءاً من ألفاظه الأصليّة والتي يمكن أن يكون لها معنى آخر لم يتنبه له الراوي فنقله بمعنى آخر ، فإذا أضفنا صعوبة الوقوف على عدالة الرجال ، وخصوصاً المنافقين منهم ، الذين لا يعلم سرائرهم سوى رب العباد ، يتّضح لنا العيب الأكبر في شرط البخاري في إخراجه لأحاديثه الصحيحة ، وكما قال أحمد أمين : « إنّ بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقات ، وقد ضعّف الحفاظ من رجال البخاري نحو الثمانين »(٢٤١) .

ونعرض في ما يلي مزيداً من الروايات التي عدّها البخاري صحيحة ، وألزم بعض المسلمين بها أنفسهم على مرّ العصور :

وإنّا سَمِعْنَا مُنادياً يُنادِي : لِيَلْحَقْ كُلّ قَوْمٍ بِما كانُوا يَعْبُدُونَ ، وإنَّما نَنْتَظِرُ رَبَّنا . قالَ : فَيَأتِيهِمْ الجبَّارُ في صورَةٍ غَيْرِ صورَتِهِ التي رَأوْهُ فِيها أوَّلَ مَرَّةٍ ، فَيَقُولُ أنا رَبُّكُمْ ، فيَقُولُونَ : أنْتَ رَبُّنا ، فَلا يُكَلِّمُهُ إلاَّ الأنْبِياءُ فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفونهُ ؟ فيَقولونَ السَّاقُ ، فَيَكْشَفُ عَنْ ساقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِن(٢٤٢) .

قالَ : كُنّا جُلُوساً لَيْلَةً مَع النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ فَقالَ : إنّكُمْ سَتروْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لا تُضامُونَ في رُؤْيَتِهِ ، فإنْ اسْتَطَعْتمْ أنْ لا تُغْلَبُوا عَلى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوع الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبها فافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرأَ ـ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

(٢٤١) ضحى الإسلام لأحمد أمين ج ٢ ، ص ١١٧ ، ١١٨ .
(٢٤٢) صحيح البخاري ص ٣٩٦ ج ٩ كتاب التوحيد .

الغُرُوبِ(٢٤٣) .

إنّ الروايتين أعلاه اللتين يُفهم منهما إمكانية رؤية الله تُردّان بأن الذين أعتقدوا بإمكانية رؤية الله أخطأوا بتأويلهم لقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ وإن تأويلها الصحيح هو إلى أمر ربها ناظرة أي منتظرة ، وهكذا تؤوّل سائر الآيات التي ظاهرها على أنّ الله تبارك وتعالى جسم . ويؤيد ما نذهب إليه هذه الرواية التي ينقلها البخاري نفسه أيضاً :

عَنْ مَسْرُوقٍ قالَ : قُلْتُ لِعائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما : يا أُمّتاهُ ، هَل رأى مُحَمّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمّا قُلْتُ ، أيْن أنْتَ مِنْ ثَلاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ ؟ مَنْ حَدَّثَكَ أنَّ مُحَمّداً ﷺ رأى رَبّهُ فَقَدْ كَذَبَ . ثُمَّ قَرأتْ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ - وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلاَّ وَحياً أوْ من وَراء حجاب -(٢٤٤) .

ونتابع مع أبي هريرة رواياته العجيبة :

قالَ : جاءَ حَبْرٌ منَ الأحْبارِ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، إنّا نَجدُ أنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَواتِ عَلى إصْبَعٍ ، والأرَضِينَ عَلى أصْبَعٍ ، والشَجَرَ عَلى إصْبَعٍ ، وَالماءَ والثّرَى عَلى أصْبَعٍ ، وسائرَ الخَلائقِ عَلى إصْبَعٍ ، فيَقُولُ : أنا المَلِكُ ، فضَحكَ النَّبِيُّ ﷺ حتّى بَدَتْ نَواجِذُهُ تَصْديقاً لقَولِ الحبْرِ . ثُمَّ قَرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْره -(٢٤٥) .

فيقولون : يا آدَمُ ، أما تَرَى النَّاسَ ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وأسجَدَ لكَ مَلائِكَتَهُ(٢٤٦) .

---

(٢٤٣) صحيح البخاري ص ٣٥٥ ج ٦ كتاب التفسير .
(٢٤٤) صحيح البخاري ص ٣٥٩ ج ٦ كتاب التفسير .
(٢٤٥) صحيح البخاري ص ٣١٧ ج ٦ كتاب التفسير .
(٢٤٦) صحيح البخاري ص ٣٧٣ ج ٩ كتاب التوحيد .

قالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ : ما زَالَ نائماً حتَّى أَصْبَحَ ما قامَ إلى الصَّلاةِ . فَقالَ : بالَ الشَّيْطانُ في أُذُنِهِ(٢٤٧) .

فقالَ عُمَرُ : أما عَلِمْتَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : إنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ ببُكاء الحَيِّ(٢٤٨) .

ولماذا سيعذَّب الميت ببكاء أهله عليه ، والله تعالى يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾(٢٤٩) .

قالَ : خمِّروا الآنِيَةَ ، وأوكِئوا الأسْقِيَةَ ، وأجِيفُوا الأبْوابَ ، واكْفِتُوا صِبْيانَكُمْ عِنْدَ العِشاءِ فإنَّ للجِنِّ انْتِشاراً وخَطْفَةً ، وأطْفِئُوا المَصابيحَ عِنْدَ الرُّقادِ فإنَّ الفُوَيْسِقَةَ رُبَّما اجْتَرَّتِ الفَتِيلَةَ فأحْرَقَتْ أهلَ البَيْتِ(٢٥٠) ؟

قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إذَا طَلَعَ حاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلاةَ حَتَّى تَبْرُزَ وَإذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلاةَ حَتَّى تَغِيبَ ، ولا تَحَيَّنُوا بِصَلاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ ولا غُرُوبَها . فإنَّها تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطانٍ ، أوِ الشَّيْطانِ ، لا أدْرِي أيَّ ذَلكَ قالَ هِشامٌ(٢٥١) .

عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيّ ﷺ لأبي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ : تدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ . قالَ : فإنَّها تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تحتَ العَرْشِ فتَسْتَأذِنَ فيُؤْذَنَ لهَا وتُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ فَلا يُقْبَلُ مِنها . وتَسْتَأذِنُ فَلا يُؤْذَنُ لهَا ، فيُقالُ لهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِها ، فذَلكَ قَوْلُهُ تعالى - ﴿ والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لهَا ذَلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ

---

(٢٤٧) صحيح البخاري ص ١٣٥ ج ٢ كتاب التهجد .

(٢٤٨) صحيح البخاري ص ٢١٢ ج ٢ كتاب الجنائز .

(٢٤٩) صحيح البخاري، ص ٣٣٦ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

(٢٥٠) الإسراء : ١٥ .

(٢٥١) صحيح البخاري ص ٣١٩ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

العَلِيمِ ﴾[٢٥٢] .

لا أدري عن مدى انطباق الروايتين الأخيرتين على العلم ؟ وهل يقبل مثلها المسلمون وعلماؤهم ومحققوهم خاصة الذين يؤمنون أن الإسلام لا يتعارض مع العلم ؟؟

وكذلك ، هل من سبيل للتوفيق بين الروايتين البخاريتين التاليتين ؟ :

ابن جُبَيرٍ قالَ : قالَ لِي ابنُ عَبَّاسٍ : هَلْ تَزَوَّجْتَ ؟ قُلْتُ : لا ، قالَ : فتَزَوَّجْ فإنَّ خير هَذِهِ الأمَّةِ أكْثَرُها نِساءً[٢٥٣] .

عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : الشُّؤم في المَرأةِ . والدَّارِ ، وَالفَرَسِ[٢٥٤] .

إن إثباتنا عدم صحة جميع ما رُوي في صحيح البخاري يجعلنا نحكم بأنه لا يكفي أن يكون أي حديث ورد في كتابه صحيحاً ، لمجرد أن الشيخ البخاري أعطاه صفة « الصحيح » . وبما أنّ أحكاماً كثيرة قد بُنيت حول هذا الصحابي أو ذاك ، وعقائد كثيرة قد أُخذ بها مثل إمكانية رؤية الله تعالى أو عدم اكتمال عصمة النبي (ص) مثلاً بناءً على أحاديث مروية في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ، فإن ذلك يوجب مراجعة التاريخ الإسلامي ، وتمحيص وعدالة الرواة من الصحابة والتابعين ، لما عرفنا من زيف الكثير مما رُوي في صحيح البخاري وغيره من أحاديث احتلت مكان الاعتبار والتصديق عند بعض المسلمين بالرغم مما فيها من شبهات وخرافات تُتّخذ مطاعن على دين الإسلام .

---

(٢٥٢) صحيح البخاري ص ٢٨٣ ج ٤ كتاب بدء الخلق .
(٢٥٣) صحيح البخاري ص ٥ ج ٧ كتاب فضائل الصحابة .
(٢٥٤) صحيح البخاري ص ٢١ ج ٧ كتاب النكاح .

الفصل الخامس

الزّواج المؤقّت

هو ما يُعرف أيضاً بزواج «المتعة» ، وهو أن تزوج المرأة نفسها للرجل بمهر معلوم إلى أجل مسمى بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الشرعية ، صيغته بأن تقول المرأة للرجل بعد الإتفاق والتراضي على المهر والأجل « زوّجتك نفسي بمهر قدره ـ كذا ـ إلى ـ الأجل المعلوم » وتسمي مدة معيّنة على الضبط ، فيكون جواب الرجل على الفور « قبلت » . وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود . وبتمام شروط العقد ، تصبح المرأة زوجة للرجل ، والرجل زوجاً لها إلى نهاية المدة المعينة في العقد ـ ولهما أن يجدّداه إلى فترة أخرى ، ويجب على الزوجة أن تعتد بعد انقضاء المدة بقُرءين (حيضتين) إذا كانت تحيض ، وإلّا فبخمسة وأربعين يوماً ، وولد المتعة ذكراً كان أو أنثى يلحق بأبيه .

والمسلمون على اختلاف مذاهبهم يتفقون على أن هذا النوع من الزواج مما شُرّع في صدر الإسلام ، ونزلت فيه الآية ﴿ **فما آستمتعتم به منهن فآتوهن أجورهنّ فريضة** ﴾[٢٥٥] . وقد فسّر معظم مفسّري أهل السنة الاستمتاع في هذه الآية بنكاح المتعة ، وكان ابن عباس وأبيّ بن كعب وسعيد بن جبير يقرأون الآية

---

(٢٥٥) النساء : ٢٤ .

هكذا « فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمّى فآتوهن أجورهن »[٢٥٦] ، وقال ابن كثير في تفسيره موضحاً ذلك : « ومن البعيد أن يؤمن هؤلاء بتحريف القرآن ، فلا بد أن يراد بذلك التفسير لا القراءة . . . »[٢٥٧] ، فنزول هذه الآية في زواج المتعة مما لا ينبغي أن يكون موضعاً لكلام ، وإنما الكلام كل الكلام في أنّ هذه منسوخة أو غير منسوخة ؟ أي هل حُرّمت بعد تحليلها أم بقيت على حلّها ؟؟

في البداية نعرض بعضاً مما روي من أحاديث تثبت تشريع زواج المتعة في الإسلام فمما أخرجه البخاري في صحيحه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : كُنَا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ولَيْسَ مَعْنَا نِساءٌ فَقُلْنا : ألا نَخْتَصِي ؟ فَنهانا عَنْ ذَلِكَ فَرَخَّصَ لنَا بَعْدَ ذَلكَ أنْ نَتَزَوَّجَ المَرأةَ بالثَّوْبِ ثُمَ قَرأَ ـ ﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكمْ ﴾ ـ[٢٥٨] .

والحديث التالي يثبت بما لا يقبل أي شك أن الرسول (ص) مات دون أن يحرّم زواج المتعة ، وأن الذي نهى عنه إنما رجل آخر بعد وفاة الرسول (ص) :

رَضِيَ اللَّهُ تَعالىٰ عَنْهُ قالَ : نَزَلَتْ آيَةُ المُتْعَةِ في كِتابِ اللَّهِ فَفَعَلْناها مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولمْ يُنزَلْ قُرآنٌ يُحَرِّمُهُ ولمْ يَنْهَ عَنْها حتى ماتَ ، قالَ رَجُلٌ برأيِهِ ما شاءَ[٢٥٩] .

والرجل الذي يشير إليه الحديث السابق ما هو إلّا الخليفة عمر بن الخطاب الذي ثبت أنه المحرّم لهذا الزواج كما جاء في شرح الباري على صحيح البخاري : انظر الهامش أدناه بالترجمة الإنجليزية .

---

(٢٥٦) تفسير ابن كثير ، شرح النووي على صحيح مسلم ، تفسير القرطبي .

(٢٥٧) تفسير ابن كثير .

(٢٥٨) صحيح البخاري ص ١١٠ ج ٦ كتاب التفسير .

(٢٥٩) صحيح البخاري ص ٣٤ ج ٦ كتاب التفسير .

وجـاء في صحيـح البخـاري أيضـاً في بـاب التَمَتُّـع على عَهْـدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

حـدَّثَنا مُوسَى بنُ إسْمَاعِيـلَ : حـدَّثَنَـا هَمَّـامٌ : عَنْ قَتَـادَةَ قَـالَ : حـدَّثَنِي مُطَرِّفٌ ، عَنْ عِمْـرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَـالَ : تَمَتَّعْنـا عَلى عَهْـدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلَ القُرْآنُ ، وَقَالَ رَجُلٌ بِرأْيِهِ ما شاءَ[٢٦٠] .

ومن الواضح كيف تلاعب المترجم بتخصيصه للتمتع الـوارد في رواية عمران بأنه حج التمتع وليس متعة النساء . وعلى كل حال فإنّ الذي يهمنا ما رُوي في صحيح البخاري فقط ، ولم تكن إشارتنا للترجمة إلاّ لإظهار ما نقله المترجم عن شرح الباري في صحيح البخاري بخصوص الرجل المجهول في الرواية .

وتأكيداً لذلك ما يرويه مسلم في صحيحه بالإسناد إلى ابن نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فذكرت ذلك لجابر فقال : « تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر ، قال : إن الله يحلّ لرسوله بما شاء ، فأتمّوا الحج والعمرة وابتوا نكاح هذه النساء فلن أُوتي برجل نكح امرأة إلى رجل إلاّ رجمته بالحجارة »[٢٦١] .

وفي صحيح الترمذي : عن عبد الله بن عمر وقد سأله رجل من أهل الشام عن متعة النساء فقال هي حلال ، فقال : إنّ أباك قـد نهى عنها ، فقـال ابن عمر : أرأيت إن كان أبي ينهى عنها وصنعها رسول الله (ص) تترك السنّة وتتبع قول أبي »[٢٦٢] ، وفي صحيح مسلم أيضاً ما رُوي : « . . . ثم ذكروا المتعة فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر »[٢٦٣] .

---

(٢٦٠) صحيح البخاري ص ٣٧٥ ج ٢ كتاب الحج .

(٢٦١) صحيح مسلم : باب المتعة بالحج والعمرة .

(٢٦٢) صحيح الترمذي .

(٢٦٣) صحيح مسلم : باب نكاح المتعة كتاب الحج .

وقد اشتهر حبر الأمة عبد الله بن عباس (رض) برأيه أن آيـة المتعة لم تُنسخ كما يُورد ذلك الزمخشري في تفسيره الكشّاف حيث ينقل عن ابن عباس أنّ آية المتعة من المحكمات ، وفي صحيح البخاري ما يؤكد ذلك أيضاً :

قال : سَمِعْت ابنَ عَباسٍ يُسألَ عَنْ مُتْعَةِ النِّساءِ فَرَخَّص ، فقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ إنَّما ذَلكَ في الحالِ الشَّدِيدِ ، وفي النِّساءِ قِلَّةٌ أوْ نَحْوَهُ . فَقالَ ابنُ عَبَّاسٍ : نَعَمْ[٢٦٤] .

وبالرغم من وضوح كل تلك الأدلة وضوح الشمس في رابعة النهار بشأن دوام حلّ زواج المتعة ، فإنّ الذي عليه غالبية جمهور أهل السنة اليوم عكس ذلك ، وان الآية الخاصة في هذا النكاح يزعمون أنّها نسخت ، وقد اختلفوا في الناسخ ، فمنهم من قال إنه آية من الكتاب ، ومنهم من قـال إن الناسـخ روايات من السنة . ونردّ كلا الرأيين بالأحاديث القطعيَةِ الثبوت السابقة والتي تدل على موت الرسول (ص) دون أن ينهى عنها ، وأما من قـال إنّ الناسخ هو آية من الكتاب هي ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾[٢٦٥] ، فيكفي لرد رأيهم هذا أن نلفت النظر إلى أن هذه الآية التي يزعمون أنّها ناسخة لآية المتعة هي « مكيّة » ، بينما آية المتعة « مدنيّة » أو حكم تشـريع زواج المتعـة « مدني » أي بعـد نزول آيـة ﴿ **والـذين هم لفـروجهم حافظون . . . . الخ** ﴾ والسابق لا ينسخ اللاحق .

وأما من قال إنّ الناسـخ كان السنّة المروية عن الرسول (ص) ، فإنّ تلك الأحاديث التي يزعمون أنهـا ناسخة ، تتناقض بعضها مع بعض ، فمنهم من قال أنها نُسخت في خيبر، وآخـر في أوطاس، وثـالث يوم فتـح مكـة، ورابـع في غـزوة تبوك ، وخامس في عمرة القضاء، وسادس في حجة الوداع ، وما اضطراب تلك الروايات وتناقضها إلاّ دليل على عدم صحتها ، هذا بـالإضافـة إلى أن تلك الروايات لا تخرج عن كونها من أخبار الآحاد التي لا تصلح أن تكون ناسخة

---

(٢٦٤) صحيح البخاري ص ٣٦ ج ٧ كتاب النكاح .

(٢٦٥) المؤمنون : ٥ .

لحكم نصّ عليه القرآن وثبت تشريعه بإجماع المسلمين، لأنّ النسخ لا يقع بخبر الآحاد إجماعاً ، والآية لا تنسخها إلّا آية بدليل قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها** ﴾[٢٦٦] .

والذي يمكن أن يبرّر اجتهاد عمر في تحريم نكاح المتعة هو أن أحد المسلمين واسمه عمرو بن حريث أساء استعمال هذا التشريع فأثار حفيظة الخليفة عمر ودفعه إلى هذا التحريم! ودليل ذلك ما يرويه مسلم في صحيحه عن جابر : «كنّا نتمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنها بشأن عمرو بن حريث »[٢٦٧] . وقد أخرج الطبراني والثعلبي في تفسيريهما بالإسناد إلى عليّ قال : « لولا أن نهى عمر عن المتعة ما زنى إلّا شقّي »[٢٦٨] وفي رواية « شفن » أي قليل .

فبعد كل هذه النصوص الصريحة التي تثبت مشروعية نكاح المتعة وعدم نهي النبي (ص) عنها ، وبقاء حلّها حتى نهى عنها الخليفة عمر (رض) زمن خلافته ، لا نجد حلاً لهذه العقدة إلّا أنّ الخليفة عمر قد اجتهد برأيه لمصلحة رآها ـ بنظره ـ للمسلمين في زمانه وأيامه ، اقتضت أن يمنع من استعمال المتعة منعاً مدنياً لا دينياً لمصلحة زمنيّة ، لأن الخليفة عمر أجلّ مقاماً وأسمى إسلاماً من أن يحرّم ما أحلّ الله أو يدخل في الدين ما ليس من الدين وهو يعلم أنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة ، فلا بد أن يكون مراده المنع الزمني والتحريم المدني لا الديني . وموقفه المتشدد هذا بشأن نكاح المتعة ليس الأول من نوعه ، فقد عُرف عنه الشدة والخشونة في عامة أموره ويجتهد في ذلك مبتغياً تحقيق المصلحة العليا ـ بنظره ـ للإسلام وإقامة الشرائع ! ومن الأمثلة على اجتهاد عمر في بعض الأحكام وتشدده فيها هو أَمْرُهُ المسلمين أن يؤدوا نافلة رمضان جماعة بعد أن كانت تُؤدى فرادى على عهد رسول الله (ص) :

---

(٢٦٦) البقرة : ١٠٦ .

(٢٦٧) صحيح مسلم : باب نكاح المتعة كتاب النكاح .

(٢٦٨) تفسير الطبراني ، تفسير الثعلبي .

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : مَنْ قامَ رَمَضَانَ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . قالَ ابنُ شِهابٍ : فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ والنَّاسُ عَلى ذَلكَ ثُمَّ كانَ الأَمْرُ عَلى ذَلكَ في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ ، وصَدْراً مِنْ خِلافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما . قالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ رَمَضانَ إلى المَسْجِدِ فإذا النَّاسُ أوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ويُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاتِهِ الرَّهْطُ . فَقالَ عُمَرُ : إنِّي أرَى لَوْ جمَعْتُ هَؤُلاءِ عَلى قارِىءٍ واحِدٍ لَكَانَ أمْثَلَ ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلى أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ . ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى والنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ قارِئِهِمْ ، قالَ عُمَرُ : نِعْمَ البِدْعَةُ هذِهِ ، والَّتِي يَنامُونَ عَنْها أفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ ، يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ . وكانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أوَّلَهُ(٢٦٩) .

وقد اجتهد أيضاً في تلك النافلة ـ التي سُميت بصلاة التراويح ـ بزيادة عدد ركعاتها إلى عشرين :

عَبْدِ الرَّحْمَنِ أنَّهُ أخْبَرَهُ أنَّهُ سألَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها : كَيفَ كانَتْ صَلاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في رَمَضَانَ ؟ فَقالَتْ : ما كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ في رَمَضَانَ وَلا في غَيْرِهِ عَلى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً(٢٧٠) .

ولكن بعض المعاصرين للخليفة عمر ، ومن بعده بعض المحدّثين البسطاء ، استكبروا منه أن يحرّم ما أحلّ الله ، واضطروا إلى استخراج مبرّر لذلك ، فلم يجدوا سوى دعوى النسخ من النبي (ص) بعد الإباحة ، فآرتبكوا ذلك الإرتباك واضطربت كلماتهم ذلك الاضطراب ؛ وانظر الرواية التالية لترى مدى الإضطراب والارتباك . الذي نتحدث عنه ، والأدهى أن واضعي تلك الرواية نسبوها إلى علي وبنيه :

---

(٢٦٩) صحيح البخاري ص ١٢٦ ج ٣ كتاب صلاة التراويح .
(٢٧٠) صحيح البخاري ص ١٣٧ ج ٢ كتاب التهجد .

الزُهْرِيْ . عَنْ الحَسَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيَ ، عَنْ أَبِيهِمَا : أنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ : إنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لا يَرَى بِمُتْعَةِ النِّسَاءِ بَأساً . فَقَالَ : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهى عَنها يَومْ خَيْبَرَ ، وَعَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الإنْسِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : إنِ احْتَالَ حتى تَمَتَّعَ فَالنِّكاحُ فَاسِدٌ . وَقالَ بَعْضُهُمْ : النِّكاحُ جائِزٌ وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ[٢٧١] .

فلو فهم هؤلاء علة نهي الخليفة عنها لأغناهم ذلك عن هذا التكلف والارتباك .

إن النظر في زواج المتعة كان سابقاً من ناحيتيه الدينية والتاريخية . أما النظر فيه من الناحية الأخلاقية والإجتماعية ، فقد جاء تشريعه رحمة للبشر ورخصة للكثيرين، لا سيما المسافرين في طلب علم أو تجارة أو جهاد أو مرابطة ثغر ، ومع تعذر الزواج الدائم عليهم، لما له غالباً من التبعيات واللوازم التي لا تتمشى مع حالة المسافرين، وبخاصة منهم الذين هم في ريعان الشباب وتأجج سعير الشهوة، فإن حالهم لا يخلو من أمرين: إمّا الصبر ومجاهدة النفس الموجب للمشقة التي تؤدي إلى أمراض مزمنة وعلل نفسية مهلكة وغير ذلك من الأضرار التي لا تخفى على أحد ، وإمّا الوقوع في الزنا الذي ملأ الدنيا بالمفاسد والأضرار ، وقد رُوي عن ابن عباس في ذلك : « ما كانت المتعة إلاّ رحمة رحم الله بها أمة محمد ولولا نهيه (يعني عمر) ما زنى إلاّ شقيّ »[٢٧٢] .

ومما يؤكد الضرورة الأخلاقية والاجتماعية لمشروعية هذا النوع من النكاح المؤقت ، ما أفتاه بعض المسلمين في وقتنا المعاصر بجواز نكاح من نوع آخر يُرَخَّص للمسافر وحده حلاً لمشكلته في عدم القدرة على الزواج الدائم، وصفة هذا النكاح أنه مؤقت من جانب الرجل ، ودائم من جانب المرأة ، وعند انتهاء المدة التي أضمرها الزوج في نفسه دون علم أحد غيره فيها ، يفاجيء زوجته

---

(٢٧١) صحيح البخاري ص ٧٦ ج ٩ كتاب الإكراه .

(٢٧٢) النهاية لابن الأثير .

(المسكينة) بالطلاق . ولذلك فقد سمّوا هذا النوع من الزواج بإسم « الزواج بنية الطلاق » ، وبالرغم من اعتراف مبتدعيه بأنه يتضمن الكذب على الزوجة وخداعها ، وبالرغم من عدم وجود أي دليل عليه من الكتاب أو السنة النبوية فإنّهم يمارسونه بحجة أنّ ضرره على كل حال يبقى أخف وطأة من مفاسد الزنا . . . كل ذلك لأنهم آعتقدوا ببطلان نكاح المتعة الذي جاء حلّه في الكتاب العزيز والسنة النبوية ، فيكونون بذلك قد استبدلوا بدعة ابتدعوها بحكم الله : « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » ، فلا حول ولا قوة إلّا بالله . .

وأما **متعة الحج**

فقد عملها رسول الله (ص) وأمر بها مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج . . . ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾[٢٧٣] والمقصود بذلك هو الاعتمار في أشهر الحج قبل الحج ، وهو فرض على من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام . وقد قيل عنه التمتع بالحج لما فيه من المتعة : أي اللذة بإباحة محظور الإحرام في المدة المتخللة بين الإحرامين - إحرام المتعة وإحرام الحج - ، وهذا ما كرهه الخليفة عمر أيضاً ونهى عنه بالرغم من أنّ الرسول (ص) مات دون أن ينهى عنه .

سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قالَ : اخْتَلَفَ عَليٌّ وعُثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وهمَا بعُسْفانَ في المتْعةِ ، فَقالَ عَليٌّ : ما تُرِيدُ إلاَّ أنْ تَنهَى عَنْ أمْرٍ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمَّا رَأى ذلكَ عَليٌّ أهَلَّ بِهِما جَمِيعاً[٢٧٤] .

الحَكَم قالَ شَهِدْتُ عُثْمانَ وَعَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما ، وَعُثْمانُ يَنْهَى عَنِ المُتْعَةِ وأنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُما . فَلَمَّا رأى عَلِيٌّ أهَلَّ بِهِما : لَبَّيْكَ بعُمْرَةٍ وَحَجَّةٍ ، قالَ : ما كُنْتُ لِأدَعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أحَدٍ[٢٧٥] .

---

(٢٧٣) البقرة : ١٩٦ .

(٢٧٤) صحيح البخاري ص ٣٧٤ ج ٢ كتاب الحج .

(٢٧٥) صحيح البخاري ص ٣٧١ ج ٢ كتاب الحج .

وأما عذر عثمان في رأيه ذلك ، فهو أنه قبل أن تُؤخَذ البيعة له كخليفة ، اشترط عليه عبد الرحمٰن بن عوف ـ بوصية من الخليفة عمر ـ أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة الشيخين ، كما مرّ في فصل سابق .

وقد تواتر عن الخليفة عمر قوله : « متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) ، وأنا أَنْهَى عنهما »[٢٧٦] . ويعني بذلك متعتي النساء والحج .

فكلام الخليفة عمر هذا يظهر أنّ التصرّف في حكمهما ، إنما هو منه لا من سواه ، فهو يُقرُّ أن المتعتين كانتا على عهد النبي (ص) ، ولم ينسب النهي عنهما إلى الرسول (ص) ، بل أسند النهي عنهما إلى نفسه بقوله : « وأنا أَنْهَى عنهما » . ورحم الله مَنْ قال في شأن حديث الخليفة عمر الأخير أعلاه : « قبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه » ! .

---

(٢٧٦) التفسير الكبير للرازي ، والطبراني وغيرهما .

الفصل السادس

التقية

وهي أن يتكتّم الإنسان بحقيقة معتقده اتقاءً لمواضع الخطر إذا أحسّ بخطرٍ على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به .

وقد وُجد بعض الناس يُشنِّعون على الشيعة لاعتقادهم بالتقية جهلاً منهم بمعناها وبموقعها وحقيقة مغزاها ، ولو تثبّتوا في الأمر وتريّثوا في الحكم لعرفوا أنّ التقية التي تقول بها الشيعة لا تختص بهم ، ولم ينفردوا بها ، بل هي أمر من ضرورة العقل وغرائز البشر وشريعة الإسلام ، وكل انسان مجبول على الدفاع عن نفسه ، والمحافظة على حياته وهي أعزّ الأشياء عليه وأحبّها إليه . نعم ، قد يهون بذلها في سبيل الشرف وحفظ الكرامة وصيانة الحق ، أما في غير هذه المقاصد الشريفة والغايات المقدسة، فالتفريط بها والقاؤها في مواطن الخطر سفه وحماقة لا يرتضيها عقل ولا شرع ، وقد أجاز الإسلام للمسلم في مواطن الخوف ، إخفاء الحق والعمل به سراً ريثما تنتصر دولة الحق على دولة الباطل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إلاّ أن تتقوا منهم تقاة ﴾[277] وقوله : ﴿ إلاّ من أُكره

---

(٢٧٧) آل عمران : ٢٨ .

وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[٢٧٨] .

وقصة عمار وأبويه وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة لحملهم على الشرك واظهارهم الكفر مشهورة .

والعمل بالتقية له أحكام ثلاثة :

١ : واجب ـ وذلك إذا كان تركها يستوجبَ تلف النفس من غير فائدة .

٢ : رخصة ـ وذلك إذا كان في تركها والتظاهر بالحق تقوية له ، فله أن يضحّي بنفسه ، وله أن يحافظ عليها .

٣ : حرام ـ وذلك إذا كان العمل بها موجباً لرواج الباطل وإضلال الحق ، وإحياء الظلم والجور .

ومن المعروف أنّ أتباع مذهب الشيعة الإمامية ، وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق علَى حريّاتهم في جميع العهود ما لم تلاقِهِ أية طائفة أو أمّة أخرى ، فاَضطروا في أكثر عهودهم إلى آستعمال التّقية بمكاتمة المخالفين لهم لما كان يعقب ذلك من الضرّر في الدين والدنيا ، ولهذا السبب عُرفوا بالتقية أكثر من سواهم .

---

(٢٧٨) النحل : ١٠٦ .

الخاتمة

لقد بيّنا في فصول هذا البحث أهم ما أُختلف فيه بين السنّة والشيعة ، وبيّنا وجه الصواب فيها من خلال عرض الكثير من الأدلّة والبراهين المأخوذ أغلبها من صحيح البخاري ، وهو الذي يُعتبر أهم المصادر ثقة عند أهل السنة بعد كتاب الله .

وما كانت كتابتنا لهذه السطور وبهذه الطريقة التي قد تؤلم بعض الناس إلاّ وسيلة أضطررنا إليها بعد أن جاوز المفترون المدى كذباً وتضليلاً ، وقد رموا الشيعة بأشنع التهم والإفتراءات من شرك وتمجّس وتنصّر وتهوّد حتى آفتْوا بتكفيرهم .

وقد أخذت الوهّابية على عاتقها هذه الموجة الهوجاء التي تسبّبت في إحداث هذه الفتنة الكبرى بين المسلمين ، وتضليل البسطاء منهم مستغلّين كل وسيلة غير شرعية من كذب وتزوير في الحقائق للوصول إلى غاياتهم في تفريق الأمة وإرضاءً لأسيادهم الذين غاظهم أن يروا العملاق الإسلامي يتململ ويصحو من سباته العميق . وإلاّ ، فلماذا لم نَرَ هذا النوع من الفتنة ينمو ويكبر إلاّ بعد نجاح الثورة الإسلامية المباركة ؟؟

تلك الثورة التي هزّت عروش الطغاة والجبابرة والتي أمَّلَ بها جميع

المسلمين ـ على آختلاف مذاهبهم ـ الخير والأمل بأخذ زمام المبادرة في طريق عودة المسلمين إلى عزّهم ومجدهم بعد أن أصبحوا أذلاء تتكالب عليهم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها .

ولمّا لم يجد أعداء الإسلام وسيلة مثمرة في إبعاد المسلمين عن محور هذه الثّورة حاولوا هدمها بالتشكيك في معتقدات أهلها بعد أن فشلوا فشلاً ذريعاً في تحقيق ذلك الهدم من خلال هيليكوبتراتهم التي وكلّ الله بها رمال الصحراء فأفسدتها وشتّت شملهم، ومن خلال حربهم التي شنّوها بواسطة أجير مخلص لهم ألبسوه فيها ثياب القومية فلم يَجْنِ إلاّ الخيبة والعار من دعوته المنتنة إلى قوميّته ؛ وقد قال الشيخ المجاهد عبد الحميد كشك ـ في سياق ردّه على مقولة ذلك المجرم الأجير: بأنّ أهل ايران ما هم إلاّ فرس لا علم لهم بالإسلام ولا بالقرآن الذي نزل في العرب ولغتهم فهم بذلك الأعلم به دون غيرهم من العجم ـ : بأنّ أهل الشيعة في إيران مسلمون موحّدون ، وقد حسن إسلامهم منذ أن دخلوا الإسلام في زمان الخليفة عمر(٢٧٩) .

وقد بشّر نبي الإسلام (ص) منذ أربعة عشر قرناً هؤلاء القوم الذين تناولوا الإسلام وحملوه في طليعة هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة بالحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه :

عَنْ ثَوْرٍ ، عَنْ أبي الغَيْثِ ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : كُنّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ فأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الجُمُعَةِ ـ ﴿ وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ ـ قالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمْ يا رَسُولَ الله ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حتّى سأَلَ ثَلاثاً وَفِينا سَلْمانُ الفارِسيُّ ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلى سَلْمانَ ، ثُمَّ قالَ : لَوْ كانَ الإيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَا لَنَالَهُ رِجالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلاءِ(٢٨٠) .

وقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى هؤلاء القوم بقوله : « ها أنتم

(٢٧٩) عبد الحميد كشك ـ شريط رقم ٣٨٥ .

(٢٨٠) صحيح البخاري ص ٣٩٠ ج ٦ كتاب التفسير .

تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنّما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولّوْا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾[٢٨١] ، فعن أبي هريرة أن رسول الله (ص) تلا هذه الآية **﴿ وإن تتولّوْا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾** ، قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين إن تولينا آستبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ فضرب على فخذ سلمان ثم قال : « هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريّا لتناوله رجال من الفرس »[٢٨٢] .

ولكن أعداء الإسلام لم ييأسوا بعد فشلهم في ساحات الوغىٰ ، فلا يزال لديهم جبهات أخرى يقاتلون فيها ، فها هي الوهّابية تقوم بنفس المهمة ، ولكن هذه المرّة بسلاح مختلف ، فقد ألبسوا جنودهم ثياباً إسلامية لعلّها تكون أكثر بريقاً من ثياب القومية التي تحوّلت إلى رماد على بوابتهم الشرقية .

لقد آنطوت الحيلة الجديدة للأسف على بعض البسطاء ، ووقع الكثير من شبان الإسلام في شباك هذه الفتنة التي لا يعلمون أين ستوردهم **﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾** ، وقد حذّر نبي الإسلام (ص) أشدّ التحذير من الوقوع في سعير هذه الفتنة ـ لو كانوا من العالمين بسنّته ـ في كثير من الأحاديث التي بيّن فيها حتى مسببيها كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه :

عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ : ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ : اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا في شَأمِنا ، اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا في يَمنِنَا . قالُوا : وَفي نَجْدِنَا ؟ قالَ : اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا في شَأمِنَا ، اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا في يَمنِنا ، قالُوا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، وَفي نَجْدِنَا ؟ فَأظُنُّهُ قالَ في الثَّالِثَةِ : هُناكَ الزَّلازِلُ وَالفِتَنُ ، وَبِها يَطْلُعُ قَرْنُ

---

(٢٨١) محمد : ٣٨ .

(٢٨٢) تفسير ابن كثير والقرطبي والطبري والدر المنثور .

الشَّيْطانِ(٢٨٣) .

والطائفة المقصودة في الحديث السابق لا نرى لها تطبيقاً إلّا في الطائفة الوهّابية ، التي وُلد مؤسسها محمد بن عبد الوهاب في إحدى قرى « نجد » تسمى « العيينة » .

هذه الطائفة التي أصبحت بمثابة الغدّة السرطانية في جسم الأمّة الإسلامية ، وما فتئت تصعّد من جهودها الهدّامة في وجه عودة الإسلام المباركة ، ما هي في الحقيقة إلّا فتنة يقف وراءها الاستعمار البغيض ـ كما يدلّ على ذلك تاريخها ـ وتهدف إلى :

١ ـ الحط من مكانة وأهمية الشخصيات الدينية منعاً من التفاف الناس حولها ، وحول آثارها ومبادئها .
٢ ـ إبراز الإسلام في صورة الدين الجاف الجامد الذي لا يقبل التطبيق في العصور المختلفة .
٣ ـ إيجاد الفرقة والاختلاف في صفوف المسلمين للحيلولة دون وحدتهم وتآخيهم .

وقد اتخذت من « التوحيد » واجهة لمقاصدها الخبيثة في رمي غيرها من الطوائف بالشرك ، زاعمين أن التوسل بالأنبياء والصالحين سبب للشرك ، معارضين بذلك ما تواتر عن رسول الله (ص) بجواز ذلك ، وحسبنا ما أخرجه البخاري في صحيحة من توسل عمر بالعباس :

عَنْ أنَسٍ أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانَ إذَا أُقحِطُوا اسْتَسْقى بالعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فقَالَ : اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِنَبِينَا فَتَسْقِينا ، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِعَمِّ نَبِينَا فاسْقِنا قالَ : فيُسْقَونَ(٢٨٤) .

---

(٢٨٣) صحيح البخاري ص ١٦٦ ج ٩ كتاب الفتن .
(٢٨٤) صحيح البخاري ص ٦٦ ج ٢ كتاب الإستسقاء .

بل ويكفي في الرد على الوهّابية قوله (ص) : « سيماهم التحليق »[٢٨٥] كما روى ذلك البخاري في صحيحه ، فإنّه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم كما عُرف ذلك من تاريخهم[٢٨٦] .

وفي حديث آخر ، بيّن النبي (ص) توجيهه النبوي للناس في ما يجب عمله عنده حدوث مثل تلك الفتن :

يَقُولُ : كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ ، وَكُنْتُ أسألُه عَنِ الشَّرِّ مَخافَةَ أنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللَّهِ . إنَّا كُنَّا في جاهِلِيَّةٍ وَشَرّ فَجاءَنَا اللَّهُ بِهَذا الخَيرِ . فَهَلْ بَعْدَ هَذا الخَيرِ مِنْ شَرّ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِنْ خَيرٍ ؟ قالَ : نَعَمْ . وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ : وَما دَخنَهُ ؟ قالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ . قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيرِ مِنْ شَرّ ؟ قالَ : نَعَمْ . دُعاةٌ عَلى أبْوَابِ جَهَنَمَ مَنْ أجابَهمْ إلَيهَا قَذَفُوهُ فِيها . قُلْتُ : يا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنا . قالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِألْسِنَتِنا . قُلْتُ : فَما تَأمُرُنِي إنْ أدْرَكَنِي ذلكَ ؟ قالَ : تَلْزَمُ جَماعَةَ المُسْلِمينَ وَإمامَهُمْ . قُلْتُ : فَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَماعَةٌ وَلا إمامٌ ، قالَ : فاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّها وَلَوْ أنْ تَعَضَّ بِأصْلِ شَجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ المَوْتُ أنْتَ عَلى ذلكَ[٢٨٧] .

والحديث أعلاه يبيّن بكل وضوح وجوب الالتزام بجماعة المسلمين وإمامهم ، وأنه في حالة التباس الأمر وغموضه وعدم إمكانية معرفة حقيقته ، فإنّ التوجيه النبوي يأمرنا بما معناه « السكوت » ، ويبيّن الحديث أيضاً أنّ « الدّعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » ليسوا من العجم ، وإنّما من جلدة العرب ، وهذا ما يؤكّد ما جاء في الحديث الأسبق (عن نجد) .

---

(٢٨٥) صحيح البخاري ص ٤٨٩ ج ٩ كتاب التوحيد .
(٢٨٦) فتنة الوهّابية ص ٧٧ ، ط استنبول ١٩٧٨ م .
(٢٨٧) صحيح البخاري ص ١٥٩ ج ٩ كتاب الفتن .

وهذا الأمر لا بـد أن يجعل المسلم في أشد حالات الحيطة والحذر بأخذه للمسار الذي يؤدي به بأمان إلى سنة المصطفى (ص) ، وخصوصاً مع وجود مسارات كثيرة عددها ثلاثة وسبعون كل منهـا يدّعي نقله الصحيـح للسنة النبـوية ، وقـد أخبرنا مَنْ لا ينطق عن الهوى أنّ واحداً منها فقط هو الصحيح ، وما دونها فهو دون ذلك .

وهكذا حصل الخلاف والاختلاف ، حتى بات المسلم حائراً ومستغرباً لكل ما يجري حوله من هذه الضجّة الكبرى والفتنة العظمى ، وأنا لا أرى غرابة لهذه الحيرة وهذا الإستغراب ، فقد أشار نبي الإسلام إلى هذا الأمر بقوله : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ . . . » .

أليست الغربة كلّهـا في محاربة المسلمين لمن كان مسلماً حقّاً ؟ أليست الغربة والغرابة كلّها أن يقف الوعّاظ بعمائمهم على المنـابر ويصيحـوا بأعلى أصواتهم مكفّرين مَنْ كان مسلماً حقاً ؟

بلى يـا رسول الله . . ، فقـد صدقت ، وهـا هم المسلمون يحـاربـون ويكفّرون شيعتك الّذين تمسّكوا بسنّتك عن طريق أطهر الخلق بعدك ، إنهم يحاربون هذا العائد وقد أمسى أهله غرباء على جمهور المسلمين وقد ضُلّلوا عن طريق من أنذرت بأنه سيكون مطلعاً لقرن الشيطان والزلازل والفتن .

وقد قلت بأنه (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) مصداقاً لقوله تعالى ﴿ لقد جئناكم بـالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾[٢٨٨] .

وقد بشّرت بمهدي آل محمد ، سبطك ووصيّك الإمام الثاني عشر ، الذي سيملأ الدنيا بالقسط والعدل بعد أن مُلِئَتْ بالظلم والجور ، وأمرتنا بالسعي إليه ولو حبواً على الثلج بقولك (إنا أهلِ البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي أُثْرَةً وشدةً وتطريداً في البلاد ،

---

(٢٨٨) الزخرف : ٧٨ .

حتى يأتي قوم من ها هنا ، وأشار بيده نحو المشرق ـ أصحاب رايات سود فيُسألون الحق فلا يُعْطونَه فيُقاتلون فيُنصَرون ويُعْطَوْن ما شاؤوا فلا يقبلونه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهلِ بيتي ، فيملأها عدلاً كما مُلئت ظلماً ، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبْواً على الثلج)[٢٨٩] .

وآخر دعوانا أن يجعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

(٢٨٩) تاريخ الطبري .

الفهرس

المؤلـــف :

باحث عن الحقيقة ، جاهد في سبيل

الوصول إلها جهاداً مريراً حتى هداه

الله إلى سواء السبيل ﴿ والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ .

ولد في قرية دير الغصون في الضفة

الغربية بفلسطين المحتلة ، أنهى

دراسته الثانوية ثم سافر إلى الاردن

فحصل على دبلوم في المهن الهندسية ،

ثم سافر إلى الفلبين فحصل على

البكالوريوس في الهندسة المدنية ثم

الماجستير في إدارة الانشاءات

.Construction Management

وهو الآن حاصل على شهادة الدكتوراه

في الادارة الحكومية من خلال بحثة

.Islamic Puplic Administration

إلى كلِ باحثٍ عن الحقيقةِ ...

أُهدي هذا الكتاب

هـذا الكتـــاب :

حقيقة الشيعة الأثنى عشرية

بحث حول الشيعة الاثنى عشرية

من كتب صحاح أهل السنة